ترغيب المشتاقين

لبيان منظومة السيد البرزنجي زين العابدين

في مولد سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشيخ محمد نووي بن عمر بن عربي بن علي الجاوي

رحمه الله ونفع بعلومه آمين

وبالهامش منظومة المولد المذكور

منتدى سور الأزبكية

www.books4all.net

شركة ڤيراميد

للطبلعه والنشر والتوزيع

سورابايا اندونيسيا

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنار جميع الوجود بمولد سيد الأنام، أحمده على ما أولانا من الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من الكروب العظام، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ذو الشفاعة العظمى يوم الازدحام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين سبقونا بالإسلام .

وبعد : فهذا شرح على منظومة السيد [زين العابدين] البرزنجى فى مولد سيدنا محمد ذى المقام الأعلى ، وهذه المنظومة من البحر الطويل وأجزاؤه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن مرتين وقد بلغت الغاية فى حسن نظمها . وقد سميت هذا الشرح المبارك :

بترغيب المشتاقين لبيان منظومة زين العابدين

وأسأل الله تعالى بفضله العميم ورسوله العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز بجنات النعيم إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة قدير . قال الناظم رحمه الله تعالى (بدأت) إيراد قصة مولد سيد المرسلين فى هذه المنظومة (باسم الذات) بقطع الهمزة للوزن (عالية الشان) أى مرتفعة الرتبة المنزهة عما سواها ، وهذا إما بالنصب حال من الذات إذا اعتبرنا جانب الحال والاستقبال لأن الإضافة حينئذ غير حقيقية أو بالجر نعت للذات إذا اعتبرنا جانب الماضى فالإضافة حينئذ حقيقية كما فى «مالك يوم الدين» (بها) أى بتلك الذات فالجار والمجرور متعلق بما بعده، والباء للاستعانة أو للمصاحبة على وجه التبرك (مستدرا) حال من تاء التكلم (فيض جود وإحسان) أى مستكثرا سيلان كرم وعطاء أو مستسيلا كثرة ذلك وعطف إحسان على وجود من قبيل العطف المرادف لأنهما بمعنى واحد وهو إعطاء ما ينبغى لمن ينبغى على وجه ينبغى لا لغرض ولا لعلة (وثنيت) أى بدأت ثانيا (بالحمد الهنى) أى اليسير أو اللذيذ (موارداً) منصوب على التمييز وهو جمع مورد فورود الحمد اللسان فالمراد الصيغة الدالة على الحمد فهو مجاز مرسل من إطلاق المحل وإرادة الحال. والمعنى بدأت ثانيا بصيغة الحمد اللذيذة الهنى التى لا يخشى منها سوء أدب فى حق المحمود (مع الشكر) أى مصحوبا ذلك الحمد بالشكر (للمولى) أى المالك الذى ولى نعمتا دنيا وآخرى (بما) أى بشىء فالباء للسببية (منه أولانى) أى أعطانى من النعم التى لا تحصى قال تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (وأستمنح الله) أى أطلب من الله (العظيم نواله) أى عطاؤه وهو بالرفع فاعل (سجال صلاة) أى انصباب رحمة مقرونة بالتعظيم وكثرتها (مع) بسكون العين (تحية رضوان) بكسر الراء وضمها (يؤمان) أى يتوجهان أى الصلاة والتحية التى هى السلام (روح المصطفى) أى المختار (وضريحه) أى قبره الشريف

(بسم الله الرحمن الرحيم)
بدأت باسم الذات عالية الشان
بها مستدرا فيض جود وإحسان
وثنيت بالحمد الهنى مواردا
مع الشكر للمولى بما منه أولانى
وأستمنح الله العظيم نواله
سجال صلاة مع تحية رضوان
يؤمان روح المصطفى وضريحه

وضريحه

وعترته الأطهار طرًّا بغصان
وأصحابه الأبرار من شاع
فضلهم
وأشياعه والتابعين يمان
وأسأله التوفيق فى نظم
مولد
لجدى الذى من جعفر
الفضل أروانى
لقطت اسمط دره الرطب
حبذا
جواهر عقد قد تعززن
عن ثان
وأنظم منها البعض خوف
إطالة

(وعترته) أى ذريته صلى الله عليه وسلم وأقرباؤه (الأطهار) من الذنوب وهو جمع طاهر كأصحاب جمع صاحب (طرًّا) بضم الطاء أى جميعا (بغصان) أى الصلاة والتحية . والمعنى أسأل الله تعالى أن يخص العترة الأطهار جميعه دون غيرهم بها والواو فى قوله وعترته داخلة فى قوله بغصان (وأصحابه) وهم من اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد بعثته مؤمنين به (الأبرار) جمع بر بفتح الباء : وهو الكثير البر بكسر الباء : أى الخير والفضل (من شاع) أى ظهر (فضلهم) بين العالمين ، والفضل ضد النقص . قال صلى الله عليه وسلم «لو أنفق أحدكم مثل الأرض ذهبا لم يبلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه» وقال صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرنى» . واعلم أن فضل الصحبة لا يعادله عمل ومن ثم لما سئل ابن المبارك عن عمر ابن عبد العزيز ومعاوية رضى الله عنهما أيهما أفضل ؟ قال الغبار الذى دخل فى أنف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز ذكر ذلك ابن حجر فى شرح الهمزية (وأشياعه) أى أتباعه صلى الله عليه وسلم وأنصاره (والتابعين) للصحابة (يمان) أى الصلاة والتحية . والمعنى أسأل الله تعالى أن يعم من ذكر من الأصحاب ومن بعدهم بهما ، وفى قوله بغصان ويمان الطباق وهو الجمع بين الضدين ولو فى الجملة كما فى قوله تعالى «يحيى ويميت» ولعل المراد وأستمنح سجال صلاة ورضوان غيرما أطلبه أوّلا وإلا فاجتماع الضدين محال (وأسأله) سبحانه وتعالى (التوفيق) إلى الصواب (فى نظم مولد) أى فى جعل مولده منظوما أى موزونا بالبحر الطويل (لجدى الذى من جعفر الفضل) أى من نهر الكمال والشرف والعلوّ ، والمراد بالجعفر هنا معناه الأصلى وهو النهر لا اسم الرجل الذى هو جد الناظم ، ثم هو تلويح له (أروانى) أى سقانى هذه صلة الموصول (لقطت) أى أخذت (اسمط) بكسر السين : أى لقلادة (دره) أى مولد جدى ، فالدر بضم الدال : هو اللؤلؤة العظيمة الكبيرة (الرطب) صفة لدر ، أى الناعم الذى يسر الناظرين : فقوله دره الرطب كناية عن أحسن القصص الذى فى مولد السيد جعفر الذى يعجب السامعين (حبذا جواهر عقد) بكسر العين : أى قلادة ، والجواهر جمع جوهرة : وهو كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به وهنا يمدح مولد السيد جعفر فى أنه كثير النفع ومرغوب فيه بحسن ألفاظه كما أن الماس والياقوت كذلك . وأصل حب حبب بالباءين ثم أدغم وذا فاعله ويلزم الإفراد والتذكير وإن كان المخصوص بخلاف ذلك لأن فيه حذفا تقديره فى نحو حبذا هنا حبذا حسنها وحبذا زيد حبذا أمره وشأنه فالمقدر المشار إليه مفرد مذكر دائما حذف وأقيم المضاف إليه مقامه (قد تعززن) أى تفردن (عن ثان) أى من مماثل فلا يكاد يوجد وهذا من تتمة المدح لمولد السيد جعفر (وأنظم منها) أى من جواهر عقد (البعض) أى أجمع بعض القصة المشبهة بالجواهر للعقد التى هى لجدى فى سلك تأليفى منظوما وموزونا بأجزاء البحر الطويل (خوف إطالة) لئلا يسأم الحاضرون مجالس قراءة المولد الشريف من سماعهم وقعودهم وإلا يكن لأجل ذلك فالإطالة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم مطلوبة .

﴿فائدة﴾ أول من أحدث فعل المولد الملك المظفر أبو سعيد فكان يعمله فى ربيع الأوّل وكان يصرف على المولد كل سنة ثلثمائة ألف دينار . وحكى بعض من حضر سماطه فى بعض الموالد أنه عدّ فيه خمسة آلاف رأس غنم وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلواء ، ولازال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون فى المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم . وفى مطلع الأنوار للشيخ محمد بن النير قال ابن الجوزى : من خواص قراءة المولد الشريف أنه أمان تام فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام ،

ويتبغى إظهار التجمل والزينة بالثياب الفاخرة ليلة مولده الشريف لأنه ذخرنا فى الآخرة انتهى . وقال القسطلانى فى المواهب : فرحم الله امرأ اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعيادا ليكون أشدّ علة على من فى قلبه مرض وأعيا داء انتهى . وقال عبد الله بن عيسى الأنصارى كانت بجوارى امرأة صالحة ولها ولد صالح فكانت فقيرة لاشىء لها إلا دينارا واحدا من ثمن غزلها فماتت وكان ذلك الولد يقول هـذا من ثمن غزل أمى والله لا أصرفه إلا فى أمر الآخرة وخرج ذات يوم فى حاجة له فمر بقوم يقرءون القرآن وعملوا مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأوّل فجلس عندهم وسمع ذلك ثم نام فى ليلته فرأى فى منامه كأن القيامة قد قامت وكأنّ مناديا ينادى أين فلان بن فلان يذكر جماعة فساقهم إلى الجنة وذلك الشاب معهم وقال المنادى إن الله جعل لكل منكم قصرا فى الجنة فدخل ذلك الشاب قصرا لم ير أحسن منه والحور العين فيه كثيرة وعلى أبوابه خدام وباقى القصور ألطف من القصر الذى دخل فيه فأراد الدخول فيه فلما همّ بالدخول قال له الخدام ليس هـذا لك وإنما هو للذى عمل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح ذلك الشاب صرف ذلك الدينار على مولد النبى صلى الله عليه وسلم فرحا برؤياه وجمع الفقراء يذكرون الله ويقرءون القرآن ومولد صلى الله عليه وسلم وقص على الجماعة رؤياه ففرحوا بذلك ونذر أن لايقطع مولد النبى صلى الله عليه وسلم مادام حيا ثم نام فرأى أمه فى المنام فى هيئة حسنة وفى حلل من حلل الجنة ولهـا رائحة الجنة وقبل يدها وقبلت هى رأسه وقالت جزاك الله خيرا ياولدى لقد أتانى ملك وأعطانى هذه الحلل ، فقال لها من أين لك هذه الكرامة ؟ فقالت لأنك قد صنعت بالدينار الذى ورثته منى مولد سيد الأوّلين والآخرين وهذا جزاء من عظم نبيه وعمل مولده (ويكفى محيط الجيد) بكسر الجيم : أى العنق (من عقد عقيان) بكسر العين: أى ذهب، فالناظم يمدح منظومه تحدثا بالنعمة ويشبهه بالقلادة المصنوعة من الذهب الأحمر لبهائه ونضارته وصراحته (وبالله مولاى) أى ناصرى (استعنت) أى لابغيره (وحوله) أى واستعنت بتدبيره تعالى (وقوّته) أى وبقدرته (فى سرّ سرّ) سرالسر: هو ما انفرد الحق عن العبد فى اطلاعه (وإعلان) بكسر الهمزة . ولما أراد الناظم الشروع فى المقصود حلى كلامه بالفصل بالصلاة على سيد المرسلين ورسول رب العالمين وهكذا عادته كلما أراد الانتقال من طريق إلى آخر فقال (إلهى) بفتح الياء للوزن أى يامعبودى (روّح) أى طيب (روحه) صلى الله عليه وسلم (وضريحه) أى قبره (بعرف) أى برائحة حسنة (شذى) بالذال المعجمة اى قوى (من صلاة ورضوان) بيان للعرف (وبعد) أى بعد ماذكر من التسمية والحمد وطلب الصلاة والتحية على رسول الله ومن ذكر معه وسؤال التوفيق (لخير الخلق) من الإنس والجن والملائكة وغيرهم (طرا) بفتح الطاء: أى قطعا أى بلاخلاف، وبضمها أى جميعا (محمد) صلى الله عليه وسلم، وعن أنس قال «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، بفتح الفاء وقال: أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح» رواه ابن مردويه (سلالة عبدالله) أى ولده (صفوة عدنان) أى خالصه وهو الجد الأعلى للنبى صلى الله عليه وسلم وسائر العرب العرباء قال صلى الله عليه وسلم «أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار» وإنما ذكر الناظم عدنان لأن النسب إليه متفق عليه ، وروى عن عمر أنه قال: إنما ينتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لايدرى ماهو، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: بين عدنان وإسماعيل عليه السلام ثلاثون أبا لايعرفون . وحكى الزبير أن عدنان أول من وضع علامات الحرم وأول من كسا الكعبة

ويكفى محيط الجيد من
عقد عقيان

وبالله مولاى استعنت
وحوله

وقوته فى سر سرّ وإعلان

(إلهى روّح روحه وضريحه
بعرف شذىٌ من صلاة
ورضوان)

وبعد لخير الخلق طرّا محمد
سلالة عبد الله صفوة
عدنان

وقد شاع بين العالمين جدوده
وعد إلى عدنان مابين أخدان
وعدنان حقا للذبيح انتسابه
لدى معشر الأنساب من غير بهتان
حماه إله العرش من ظهر آدم
إلى صلب عبد الله من رجس شيطان
إلى أن بدا من خير بيت ومعشر
وخير قرون الخلق من نوع إنسان
وقد صان من فعل السفاح أصوله

(وقد شاع بين العالمين جدوده) صلى الله عليه وسلم (وعد) هو فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل يعود إلى المذكور من الجدود، ويجوز أن يكون فعل أمر ومعموله محذوف: أى عدد الجدود (إلى عدنان ما) هذه زائدة (بين أخدان) أى أصدقاء وهو جمع خدن بكسر الخاء المعجمة. فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو ابن عبد الله الذبيح ابن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد فى قول ابن إسحق وهو الصحيح ابن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصى واسمه مجمع بن كلاب واسمه حكيم بن مرة بضم الميم وتشديد الراء ابن كعب بن لؤى بضم اللام وفتح الهمزة ابن غالب بن فهر بكسر الفاء وسكون الهاء واسمه قريش وإليه تنسب قريش، فما كان فوقه فكنانى لاقرشى ابن مالك ابن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بصغير خزمة بفتحات ابن مدركة بضم الميم وكسر الراء واسمه عمرو وقيل عامر بن إلياس بكسر الهمزة فى قول ابن الأنبارى وبفتحها فى قول قاسم ابن ثابت بن مضر بضم الميم وفتح الضاد واسمه عمرو على ما ذكره الباجورى ابن نزار بكسر النون فراى فألف فراء. قال الباجورى اسمه خلدان ابن معدّ بفتح الميم والعين وتشديد الدال ابن عدنان. قال محمد بن المنير الدمشقى: وذكر بعض الأفاضل أن من كتب أسماء آبائه صلى الله عليه وسلم وعلقها عليه فانها تكون له حفظا من طوارق دهره اهـ (وعدنان حقا) أى يقينا فهو مفعول مطلق لفعل محذوف والتقدير حققت حقا (للذبيح) وهو سيدنا إسماعيل: أى الذى أمر الله تعالى أباه إبراهيم فى المنام بذبحه ثم منّ عليه بأن أنزل عليه فداءه كبشا من الجنة فهو ذبيح أمرا لافعلا (انتسابه) أى عدنان هذا مبتدأ ثان وللذبيح خبره والجملة خبر المبتدأ الأول وهو عدنان (لدى معشر الأنساب) أى عند جماعة عارفين بالأنساب وهو جمع نسب، والمعشر والقوم والرهط والنفر: الجماعة الرجال دون النساء (من غير بهتان) أى افتراء بمعنى كذب (حماه) أى حفظه صلى الله عليه وسلم (إله العرش) أى خالقه. والعرش جسم عظيم نورانىّ علوى: وهو قبة ذات قوائم يحمله الآن أربعة وفى الآخرة ثمانية رءوسهم فوق السماء السابعة وأقدامهم فى الأرض السفلى وإنما زيد فى حملته فى الآخرة لأنه يزداد تجلى الجلال عليه فيها، وقد ورد أن له ثلثمائة وستين قائمة عرض كل قائمة منها قدر عرض الدنيا سبعين ألف مرة وبين كل قائمة وقائمة ستون ألف صخرة فى كل صخرة ستون ألف عالم وكل عالم كالثقلين من الجنّ والإنس ولذلك وصفه الله تعالى بالعظيم فى قوله تعالى «وهو رب العرش العظيم» بناء على قراءته بالجر كما هو القراءة المشهورة (من ظهر آدم) عليه السلام بالصرف لضرورة الوزن (إلى صلب عبد الله) الذبيح (من رجس شيطان) أى عمله. وعن على بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء» رواه الطبرانى (إلى أن بدا) أى خرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. (من خير بيت) أى أصل (ومعشر) أى قبيلة (وخير قرون الخلق من نوع إنسان) وعن العباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير القبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا أى روحا وذاتا وخيرهم بيتا أى أصلا» رواه الترمذى. وعن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم «بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت فى القرن الذى كنت منه» رواه البخارى، وفى حديث رواه الطبرانى عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن الله اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار من خيار. ألا من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم» (وقد صان) إله العرش (من فعل السفاح أصوله)

إلى أن بدا كالبدر يهدى لرحمان
وكان نبيا والصفىّ مجندل على باب دار الخلد مرتع ولدان

أى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . اعلم أن آدم ولد من حواء أربعين ولدا فى عشرين بطنا وولد شيثا منفردا فكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من نسله، ولما توفى آدم أوصى شيث ولده بوصية آدم أن لا يضع هذا النور أى الذى كان فى جبهة آدم ثم فى شيث إلا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية تنتقل من قرن إلى قرن إلى أن أوصل الله ذلك النور إلى جبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية . قال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماولدنى من سفاح الجاهلية شئ ماولدنى إلا نكاح الإسلام» رواه البيهقى: أى إلا نكاح كنكاح الإسلام فى كونه مبيحا للوطء وإن لم يكن مستجمعا لشروط نكاح الإسلام الآن، والمراد بالسفاح هنا جميع ما كان عليه الجاهلية من نكاح السفاح: وهو أن تسافح المرأة رجلا مدة ثم إذا أعجبته وأعجبها تزوجها . ومن نكاح البغايا وهو أن يطأ البغى جماعة متفرقون واحد بعد واحد فاذا ولدت ولدا ألحقته بمن غلب عليه شبهه منه . ومن نكاح الاستبضاع وهو أن تستبضع المرأة من أجنبى إذا طهرت من حيضها بأمر زوجها ثم يعتزلها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى استبضعت منه ثم إن أحب أصابها . ومن الجمع وهو أن يجتمع جمع دون العشرة ويدخلون على المرأة ذات راية فيطئونها كلهم فاذا وضعت ومر لها من الوضع ليال أرسلت لهم ولا يتخلف رجل منهم فتقول قد عرفتم ما كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من شاءت فيلحقه وإن لم يشبهه ولا يستطيع نفيه . ومن نكاح المقت وهو أن ينكح أكبر أولاد الرجل زوجته ومن غير ذلك (إلى أن بدا) أى ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (كالبدر) أى كالقمر ليلة كماله فان النبى صلى الله عليه وسلم لما ولدته أمه ظهر بنور فائق على الأنوار كالبدر ليلة أربع عشر (يهدى) صلى الله عليه وسلم (لرحمان) هذا تكملة البيت أى إلى طريق موصل إلى الله فاللام بمعنى إلى، والرحمن: من عظم إحسانه ودام امتنانه كما قاله السيوطى (وكان) صلى الله عليه وسلم (نبيا والصفى) أى صفىّ الله وهو آدم أبو البشر عليه السلام (مجندل) أى طريح ملقى فى طينته (على باب دار الخلد مرتع ولدان) بكسر الواو: وهم على صورة الأولاد خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة من غير ولادة أحد لهم كما خلقت الحور العين من غير ولادة . قال صلى الله عليه وسلم « إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته » رواه أحمد والبيهقى. وعن ميسرة قال «قلت يارسول الله متى كنت نبيا؟ قال، وآدم بين الروح والجسد » رواه البخارى، وقال الباجورى: أى والحال أن آدم بين الروح والجسد والظاهر أن المراد بالبينية فى هذا الحديث عدم الطرفين الروح والجسد أى لا روح ولا جسد . وقال الشبراملسى لعل المراد أن آدم على كل حال كائن بين الروح والجسد وتلك الحال هى الهيئة التى هو عليها حال كونه طينا اه . وقول الناظم مرتع بفتح الميم والتاء: أى موضع الرتوع، أى التنعم وهو بدل من قوله دار الخلد، وقد يفهم من كلام الناظم أن الولدان لم يولدوا ولم يخلقوا عن ولادة وأن الجنة التى سكنها آدم هى جنة الخلد وقد جرى الناظم على القول بأن آدم عليه السلام خلق على باب الجنة ويشهد لذلك ما فى العرائس للثعلبى: كان جسد آدم ملقى على باب الجنة أربعين سنة وكان يمطر عليه من الحزن ثم أمطر عليه سنة واحدة سرور فلذلك كثر الغم فى أولاده وتصير عاقبتهم إلى الفرح والراحة ، وقيل كان خلق آدم فى الجنة يشهد لذلك ماروى عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما صور الله آدم فى الجنة تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطوف به ينظر ماهو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك » رواه مسلم وقيل كان فى السماء ، ويشهد لذلك ماروى عن أبى نضرة قال «لما خلق الله آدم ألقى جسده فى السماء لا روح فيه ، فلما رأته الملائكة راعهم مارأوا من

خلقه اه وقيل كان فى الأرض بين مكة والطائف ويشهد لذلك ماروى عن ابن عباس أن إبليس مرّ على جسد آدم وهوملقى بين مكة والطائف أى بوادى نعمان لاروح فيه فقال ماخلق الله هذا ؟ ثم دخل من فيه وخرج من دبره وقال إنه خلق لايتمالك لأنه أجوف (وأعطى) الله تعالى (له) صلى الله عليه وسلم فاللام زائدة فى المفعول الأول (ذات العلوم) أى المعلومات فالذات هنا بمعنى النفس والحقيقة (وإسمها) أى العلوم بقطع الهمزة للوزن (لآدم) أبى البشر صلى الله عليه وسلم (قد أعطى) الله سبحانه وتعالى أى إن آدم عليه السلام لم يحصل له من العلوم إلا مجرد العلم بأسمائها بجميع اللغات لكن أولاده تفرقوا فى اللغات فحفظ بعضهم العربية ونسى غيرها وبعضهم التركية ونسى غيرها وهكذا . والحاصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هوالعلم بحقائقها ومسمياتها والواو فى قوله واسمها داخلة فى قوله قد أعطى ويتعدى لمفعولين فقوله لآدم مفعول أول واللام فيه زائدة وقوله اسمها مفعول ثان (فلله من شان) فمن زائدة : أى أمر يظهره يخفض أقواما ويرفع آخرين .

(إلهى روّح روحه وضريحه   بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(وما زال نور المصطفى) أى المختار صلى الله عليه وسلم (متنقلا * من الطيب الأتقى) أى الأزكى أى الصالح (لطاهر أردان) جمع ردن بضم الراء والأصول ؛ ومعناه الأصلى أصل كم القميص واللام بمعنى إلى أى طاهر الأصول حتى وصل ذلك النور (إلى صلب) أبيه صلى الله عليه وسلم (عبد الله) الذبيح (ثم لأمه) صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم « لم يلتق أبواى قط على سفاح ولم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لاتتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما » رواه أبو نعيم عن ابن عباس ، وقال صلى الله عليه وسلم « لم أزل أتنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » وقد استدل بعضهم بذلك على أن آباءه صلى الله عليه وسلم وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر لأن الكافر لايقال فى حقه إنه طاهر بل نجس كما فى قوله تعالى «إنما المشركون نجس» وأيضا إن المراد بقوله تعالى «وتقلبك فى الساجدين» على أحد التفاسير تنقل نوره صلى الله عليه وسلم من ساجد إلى ساجد وحينئذ فهذا صريح فى أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من أهل الجنة لأنهما أقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هوالحق . ولذلك قال الناظم (وقد أصبحا) أى صار عبد الله وآمنة (والله) هذا قسم (من أهل إيمان . وجاء) أى فان الله أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم (لهذا) أى الذكور من أنهما صارا من أهل الإيمان (فى الحديث شواهد) روى عن عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام به ماشاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال : سألت ربى فأحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردها » رواه الطبرانى ، وعنها أيضا قالت « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمرّ بى على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم نزل فقال ياحميراء استمسكى فاستندت إلى جنب البعير فمكث مليا ثم عاد إلىّ وهو فرح متبسم ، فقال ذهبت لقبر أمى فسألت ربى أن يحييها فأحياها فآمنت بى » رواه أبو حفص بن شاهين ، وكذا روى من حديث عائشة أيضا إحياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ذكره السهيلى (ومال إليه) أى إلى ذلك الحديث (الجمّ) أى الجماعة الكثيرة (من أهل عرفان) أى أهل حقيقة وكشف (فسلم) أى أقبل هذا الحديث وممكن ذلك الإحياء والإيمان بعده فإحياؤهما وإيمانهما ليس بممتنع عقلا ولا شرعا ، فقد ورد فى الكتاب العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله ، وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله تعالى على يده جماعة من الموتى . وإذا ثبت هذا

وأعطى له ذات العلوم وإسمها
لآدم قد أعطى فلله من شان
(إلهى روّح روحه وضريحه
بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)
وما زال نور المصطفى متنقلا
من الطيب الأتقى لطاهر أردان
إلى صلب عبد الله ثم لأمه
وقد أصبحا والله من أهل إيمان
وجاء لهذا فى الحديث شواهد
ومال إليه الجمّ من أهل عرفان

فلا يمتنع إيمانهما بعد إحيائهما ويكون ذلك زيادة فى كرامته وفضيلته فالحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فان العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه تأذى ولده ، وقد قال عليه الصلاة والسلام «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» (فان الله جل جلاله) أى عظم عظمته (قدير على الإحياء) أى إحياء الموتى (فى كل أحيان) أى فى كل وقت شاء ، وقوله فان الله تعليل لقوله فسلم وكذا ماعطف عليه وهو قوله (وإن الإمام الأشعرى لمثبت * نجاتهما) أى والديه صلى الله عليه وسلم (نصا بمحكم قرآن) أى وقد أطبقت الأئمة الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والفقهاء من الشافعية على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا وقد تمسكوا بقوله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» ولا شك أنهما ماتا قبل البعثة فى زمن الفترة ولا تعذيب قبلها وأصوله صلى الله عليه وسلم إلى إسماعيل عليه السلام كانوا من أهل الفترة وهم فى حكم المسلمين بنص الآية المذكورة ، وكذا من بين كل رسولين . فاذا قلت إذا قررتم أنهما من أهل الفترة وأنهما لايعذبان ، فما فائدة الاحياء ؟ قلت فائدته إتحافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة ، لأن غاية أمرهما أنهما ألحقا بالمسلمين فى مجرد السلامة من العذاب . وأما مراتب الثواب العلية فهما بمعزل عنها فأتحفا بمرتبة الإيمان زيادة فى شرف كمالهما لحصول تلك المراتب لهما قاله ابن حجر فى شرح الهمزية . وقول الناظم نصا حال من الضمير المستتر فى مثبت قوله بمحكم متعلق به أى متمسكا بذلك ومستندا إليه ويجوز أن يكون حالا من قوله بمحكم قرآن . وقوله بمحكم متعلق بقوله مثبت أى منصوصا ومصرحا . وقوله بمحكم قرآن من إضافة الصفة للموصوف مع تقدير مضاف : أى بآية قرآن محكمة أى متقنة ومنزهة عن نقص يلحقها وواضحة الدلالة ولو بالتأويل (وحاشا) أى تنزه (إله العرش) فحاشا هنا اسم فاعل بمعنى برئ كما قاله ابن الحاجب : أى برئ إله العرش من أن (يرضى جنابه) أى حضرته تعالى (لوالدى المختار رؤية نيران) جمع نار وهى مؤنثة . قال القسطلانى ولقد أطنب بعض العلماء فى الاستدلال لإيمانهما ، فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل انتهى .

﴿فائدة﴾ رأى رجل صالح من المالكية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النام وسمعه يقول «من قال كل يوم أستغفر الله لأبوى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة مرة أستغفر الله لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة مرة أيضا كنت معه أينما كان» وهذا دليل على أنهما مؤمنان وإلا فلا فائدة فى الاستغفار (وقد شاهدا) أى عاين والداه صلى الله عليه وسلم (من معجزات محمد) صلى الله عليه وسلم وتسمية الخوارق بالمعجزات مجاز أو جرى على إصلاح السلف ، كالإمام أحمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ، ولكن الأشهر الذى عليه أكثر علماء الكلام وغيرهم أن المعجزة لاتطلق حقيقة إلا على الأمور الخارقة للعادة المقرونة بالتحدى الدالة على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . والتحدى هو طلب المعارضة والمقابلة (خوارق آيات) أى علامات دالة على نبوّته صلى الله عليه وسلم ورسالته وهذا من إضافة الصفة للموصوف أى آيات دالة على ذلك خارقة للعادة وقوله من معجزات متعلق بمحذوف حال منه (تلوح) أى تظهر تلك الآيات الخارقة للعادة (لأعيان) جمع عين وهذا الجمع قليل والأكثر أن جمع عين للباصرة عيون وأعين ولعل الناظم أراد بهذا البيت الاستدلال على إيمان والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأنه قال وكيف لا يكونان مؤمنين ؟ والحال أنهما قد شهدا آيات خارقة للعادة دالة على رسالته صلى الله عليه وسلم وأن العرف جار بأن الولد أحب إلى أبويه من غيره . والآيات الخارقة للعادة التى عاينتها آمنة كثيرة: منها خروج النور من فرجها وقت ولادته صلى الله عليه وسلم ، كما روى أنها قالت : كأنه خرج من فرجى شهاب

فسلم فان الله جل جلاله
قدير على الإحياء فى كل أحيان
وإن الإمام الأشعرى لمثبت
نجاتهما نصا بمحكم قرآن
وحاشا إله العرش يرضى جنابه
لوالدى المختار رؤية نيران
وقد شاهدا من معجزات محمد
خوارق آيات تلوح لأعيان

أضاءت له الأرض حتى رأيت قصور الشام» رواه بريدة، والتى شاهدها عبدالله مخاطبة الأحجار إياه وغير ذلك كما ذكره محمد السمنودى فى الدرالثمين بقوله: إن عبد الله خرج مع أبيه عبد المطلب ليلة من الليالى وكانت ليلة الجمعة ثامن عشر من جمادى الآخرة فسارا حتى وصلا إلى عرفات وتأخر عبد الله عن أبيه لقضاء حاجته، وإذا بنهر ماء يجرى أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وإذا بهاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه ياعبد الله اشرب من هذا الماء واغتسل من هذا النهر وواقع زوجتك تأتك بأكرم الأولين والآخرين فاغتسل وتطهر وشرب، فلما فرغ غار الماء وعادت الأرض يابسة وأسرع عبد الله إلى منزله فنادته ياعبد الله آن أوان ظهور سيد ولد عدنان وخاطبته الأحجار والأشجار وقالت له أيها العبد الكريم سر إلى زوجتك من وقتك وساعتك فأسرع عبد الله مقبلا إلى زوجته آمنة، فلما وصل إليها قال لها تطهرى وتطيبى فقد آن أن أودعك وديعة الجبار الذى أودعها لأنبيائه ورسله وأحبابه فشمت منه روائح المسك فقامت وتطهرت وتعطرت ثم أتت فراشها فواقعها فحملت من وقتها بسيد الأنام ورسول الملك العلام وقد فقد النور من وجهه وانتقل إلى آمنة فزادت بذلك حسنا وجمالا وبهاء وكمالا انتهى.

(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(فنها) أى الآيات الخارقة للعادة بقطع النظر عن كونها مشاهدة لوالديه صلى الله عليه وسلم وإلا لم يصح لأن الآيات التى سيذكرها الناظم لم يشاهدها عبد الله بناء على أنه مات وقت حمله صلى الله عليه وسلم كما سيشير إلى ذلك الناظم (ضياء) أى نور وإشراق (لاح) أى ظهر (ليلة مولده) أى ولادته صلى الله عليه وسلم (أضاءت) أى استنارت (به) أى بذلك الضياء (بصرى) والمراد بها بلد بالشام من أعمال دمشق بينها وبينها نحو مرحلتين وهى أيضا قرية ببغداد كما فى القاموس (وسائر أكوان) أى الموجودات. روى أن آمنة قالت لما فصل أى هذا الولد منى خرج معه نور أى فى اليقظة أضاء له مابين المشرق والمغرب: أى مابين آخر المشرق وآخر المغرب (ولاحت) أى ظهرت (قصور الشأم) بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها والقصور جمع قصر مثل فلس وفلوس: وهى بيت الملك (من أرض مكة) بالصرف للوزن (رأت) أى أبصرت إبصارا كاملا (أمه) صلى الله عليه وسلم (منها) أى من أرض مكة (شوامخ بنيان) هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف: أى البنيان الشوامخ أى المرتفعة. روى عن عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة قالت «لقد رأيت ليلة وضعه أى هذا الولد نورا أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها» رواه أبو نعيم وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجىء به من النور الذى اهتدى به أهل الأرض وزالت به ظلمة الشرك، كما قال تعالى «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه» وأما إضاءة قصور بصرى بالنور الذى خرج معه فهو إشارة إلى ماخص الشام من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب أن فى الكتب السالفة: محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام وإلى الشأم انتهى ملكه ولهذا أسرى به صلى الله عليه وسلم إلى الشام إلى بيت المقدس كما هاجر قبله إبراهيم عليه السلام إلى الشام وفيها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام وهى أرض المحشر والمنشر. ومن عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم أن البيت الحرام اهتز ثلاثة أيام وسجد إلى جهته ثلاث مرات كذا فى مطلع الأنوار (ومنها) أى من الآيات الخارقة للعادة وقت ولادته (لقد غاضت بحيرة ساوة) بالصرف للوزن: أى غار ماؤها فى الأرض فلم يبق فيها قطرة: وهى بلاد فارس فى مملكة عراق العجم بينها وبين الرى اثنان وعشرون فرسخا

(إلهى روّح روحه وضريحه
بعرف شذى من صلاة
ورضوان)
فنها ضياء لاح ليلة مولده
أضاءت به بصرى وسائر
أكوان
ولاحت قصور الشأم من
أرض مكة
رأت أمه منها شوامخ
بنيان.
ومنها لقد غاضت بحيرة ساوة

وتسمى بحيرة طبرية أيضا وهى غير بحيرة طبرية التى فى بلاد الشام فهى إنما نقص ماؤها فقط وغيضها إنما يكون حال خروج يأجوج ومأجوج فان أوائلهم يمرون عليها فيشربون ماءها وأما آخرهم فحين يمرون عليها يقولون لقد كان بهذا أثر ماء وتصغير بحيرة للتعظيم ، لأن طول بحيرة ساوة أكثر من ستة فراسخ وعرضها كذلك ، وأما طول بحيرة طبرية التى فى بلاد الشام فعشرة أميال وعرضها ستة وبينها وبين الصخرة ثمانية عشر ميلا (وموضعها) أى بحيرة ساوة (ما بين قم) اسم قرية (وهمذان) بالذال المعجمة : وهى بلد بناه همذان بن الفلوج بن سام بن نوح ، أما همدان بالدال المهملة فهى قبيلة باليمن كما فى القاموس (وفاض معين) بفتح الميم أى كثر ماء جار على وجه الأرض حتى سال من شقه الوادى (فى سماوة) وهى فلاة بين الشام والكوفة (لم يكن به) أى فى ذلك المحل (قبل) مبنى على الضم : أى قبل ذلك الوقت (ماء ينقع) أى يسكن (لظمآن) أى لعطشان (وأخمدت النيران) أى انطفأ لهبها مع بقاء جرها وإلا قيل همدت بالهاء : أى سكن ليلة مولده لهب كل واحد من بيوت نار المجوس التى كانوا يعبدونها ويشتد إيقادهم لها حتى إن لها ألف سنة لم تخمد بل كانت توقد ليلا ونهارا فخمدت تلك الليلة ولم يقدروا على إيقادها لكن لم يعبدها فى جميع مدة ملكهم وهى ثلاثة آلاف سنة وأربعة وستون وإنما حدثت عبادتهم لها فى أثناء تلك المدة (من أرض فارس) وفارس اسم لطائفة من العجم : وهم أمة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق وهى من الفراسة بفتح الفاء أى الشجاعة ، وكسرى من أجل ملوكهم (وأصبح) أى صار (كسرى) بفتح الكاف وكسرها ليلة مولده صلى الله عليه وسلم (مشفقا) أى خائفا (كسر إيوان) واسم كسرى فى ذلك الوقت أنوشروان بن قباذ ابن فيروز ملك بعد ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقتله ابنه هرمز ثم تولى بعده ابنه أبرويز . وكسرى لقب لكل ملك من الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب والنجاشى لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك ، وأنوشروان هو الذى بنى ذلك الإيوان بالآجر الكبار والجص والإيوان هو صفة طويلة واسعة فى أولها عقد وبابه واسع وقيل هو البيت العالى وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرفات وقيل بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل أن ذلك الإيوان كان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء وإحكاما (وخرت) أى سقطت فى تلك الليلة (له) أى لذلك الإيوان (الشرفات) وهى بناء مخصوص يجعل على الحائط للزينة (من شامخ البنا) هذا من إضافة الصفة للموصوف أى من البناء الشامخ : أى العالى (وبات) أى صار كسرى الذى هو أنوشروان (مروعا) بفتح الميم أى فزعا (حاسيا) أى متجرعا (كأس أحزان) جمع حزن بضم الحاء وسكون الزاى مثل قفل وأقفال أو بفتحهما مثل سبب وأسباب فشبه الحزن بالماء فى السريان لجميع الأعضاء وذلك لأن ذلك الإيوان تحرك واهتز وصوت صوتا شديدا كالرعد حتى انشق من غير خلل فى بنائه شقا بينا آل به إلى خرابه (وقد كسر الله المهيمن) بضم الميم الأولى وكسر الثانية وقد تفتح الثانية وهو من أسماء الله تعالى بمعنى المؤمن من آمن غيره من الخوف وهو مؤأمن فقلبت الهمزة الثانية ياء ثم الأولى هاء أو بمعنى الأمين أو الشاهد (ملكهم * على عدد الشرفات) الساقطة وهى أربعة عشر أى إن فى سقوط الأربع عشرة شرافة إشارة إلى أنه يملك منهم ملوك ومليكات بعدد الشرفات وقد ملك منهم عشرة فى أربع سنين فى حياته صلى الله عليه وسلم وأربعة إلى زمن عثمان بن عفان ، وقد فتح فى زمن عمر أكثر أقاليم فارس وكسر كسرى وأهين غاية الهوان وتقهقر إلى أن سار إلى أقصى مملكته ثم قتل فى زمن عثمان وزال ملكه بالكلية والجار والمجرور متعلق بجىء . والمعنى بقى من ملوكهم أربعة عشر كعدد

وموضعها ما بين قم وهمذان
وفاض معين فى سماوة لم يكن
به قبل ماء ينقع لظمآن
وأخمدت النيران من أرض
فارس
وأصبح كسرى مشفقا
كسر إيوان
وخرت له الشرفات من
شامخ البنا
وبات مروعا حاسيا كأس
أحزان
وقد كسر الله المهيمن
ملكهم
على عدد الشرفات جىء
بغلمان

ملوك بنى كسرى رجال ونسوة
وما ملكوا فى الفرس من جمّ بلدان
بدعوة طه مزق الله ملكهم
كتمزيق مسطور دعاه لديان
(إلهى روّح روحه وضريحه
بعرف شذى من صلاة ورضوان)
وأخصبت الأقطار من بعد جدبها
وأدنيت الأثمار للقاطف الجانى

الشرفات الساقطة أو بكسر لأن هؤلاء الملوك كلهم مقتولون فبعضهم مقتول بعضهم وبعضهم بالصحابة (جىء) أى ملكهم أو عدد الشرفات (بغلمان) أى بملوك أقوياء (ملوك بنى كسرى) فملوك بالجر بدل من الضمير فى ملكهم أو من غلمان (رجال ونسوة) هو عطف بيان على ملوك أو بدل منه أو بدل من غلمان أى هؤلاء الملوك الأربعة عشر لم يكن جميعهم ذكورا بل كان منهم امرأتان (وما ملكوا فى الفرس) بضم الفاء (من جمّ بلدان) هذا من إضافة الصفة للموصوف : أى من البلدان الجمة أى الكثيرة . وقوله وما ملكوا معطوف على ملكهم عطف تفسير وفى فى قوله فى الفرس بمعنى على . ومن فى قوله من جمّ بلدان لمجرد الابتداء ومفعول ملكوا محذوف أى وكسر الله ماملكوا على الفرس أمرهم : أى ماتولوا السلطنة أو معطوف على الضمير فى ملكهم أى وكسر الله ملك ماملكوا، فمن فى قوله من جم حينئذ بيان لما (بدعوة طه) صلى الله عليه وسلم الجار والمجرور متعلق بمزق (مزق الله ملكهم) أى أذهب أثره ، وكان أموال كسرى وكنوزه تنفق فى سبيل الله تعالى (كتمزيق مسطور) أى مكتوب (دعاه لديان) أى إلى دين الله فاللام بمعنى إلى. ومعنى الديان القهار والقاضى والمجازى لأعمال العباد إن خيرا فخير وإن شرا فشر والضمير المستتر يعود إلى مسطور والبارز يعود إلى كسرى؛ واسم الذى مزق كتابه صلى الله عليه وسلم أبرويز بن هرمز أنوشروان ، فلما قتل أبرويز تولى بعده ابنه شيرويه . روى عن ابن عباس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق» وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر ، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هؤلاء فيمزقون وأما هؤلاء فسيكون لهم بقية» ولفظ ماجاء إلى كسرى «بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى رسول الله إلى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان توليت فعليك إثم المجوس» ولفظ ماجاء إلى قيصر «بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فانى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» وكان عليه الصلاة والسلام أرسل هذا الكتاب مع دحية بن خليفة إلى هرقل فى آخر سنة ست بعد أن رجع من الحديبية . وقوله يؤتك الله أجرك مرتين أى لكونه مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقوله فان عليك إثم الأريسيين : أى فان عليك مع إثمك إثم الأتباع بسبب أنهم اتبعوك على استمرار الكفر .

(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذى من صلاة ورضوان)

(وأخصبت الأقطار) أى عمت أقطار الأرض: أى نواحيها قوت الآدميين والدواب (من بعد جدبها) أى الأقطار. والجدب: هو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ والزرع (وأدنيت الأثمار) أى قربت (للقاطف) أى القاطع (الجانى) أى المجتنى أى إن قريشا كانت فى جدب شديد وضيق عظيم فلما استقر نور النبى صلى الله عليه وسلم فى بطن آمنة اخضرت الأرض بسبب الخضراوات التى ظهرت على وجهها وحملت الأشجار

بالثمار وأتاهم الجماعة الكثيرة والخير الكثير من كل جهة فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج : اى فتح الخير والإضاءة (وخرت) أي نكست (على الأفواه حزنا وحسرة) بالحاء المهملة : أي تلهفا أي شديد ندامة (تماثيل) أي تصاوير (أصنام) أي أصنام جميع الدنيا لا بعضها فقط (عبدن) للمشركين (وصلبان) جمع صليب وهو للنصارى: وهو ما جعل من الذهب أو من غيره على هيئة الشخص المصلوب، وهو في اعتقادهم تصوير سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: أي لما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم صارت أصنام الدنيا منكوسة أي مقلوبة بحيث صار أعلاها أسفلها وبالعكس (وبالحمل) أي بحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم (نادت) أي نطقت (في قريش) أي عندها (دوابها) أي قريش (بقول فصيح مخرس كل ملسان) بكسر الميم أي الفصحاء : أي من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها كما رواه ابن عباس. وقيل حملت آمنة بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وقيل ليلة الجمعة من شهر رجب أول يوم منه (وأصبحت الأحبار) بالحاء المهملة جمع حبر بكسر الحاء: أي وصارت العلماء (تلهج) أي تسرع جهرة (بأخباره) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الهمزة جمع خبر كسبب وأسباب (الحسنى) بضم الحاء وبالقصر (وسائر كهان) جمع كاهن وهو المخبر بالأمور الخفية والغيبة البعيدة وهذا معطوف على الأحبار (تقول) أي الأحبار وسائر الكهان هذا بدل من تلهج بدل كل من كل (غدا) أي بعد مدة قريبة (شمس الهداية) للخلق إلى الله تعالى (تنجلي) أي تظهر (وينجاب) أي ويذهب ويمحى (ليل الشرك بالأغيد) أي المليح الناعم البدن (الغاني) أي الغنيّ بالحسن عن الزينة (ولما مضى) أي تم (شهران من بعد حمله) صلى الله عليه وسلم على الراجح المشهور ، وقيل وهو صلى الله عليه وسلم في المهد قاله الدولابي ، وقيل وهو ابن شهرين ، وقيل وهو ابن سبعة أشهر ، وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا (توفي) يتعين هنا قراءته بالبناء للمفعول (بالفيحاء) بالحاء المهملة : وهو اسم المدينة النبوية فان أسماءها بلغت نحو سبعين اسما في خلاصة الوفاء (والده) صلى الله عليه وسلم عبد الله (الهاني) أي الذي حصل له السرور (أتاها) أي الفيحاء (سقيم الجسم) وهو مع جماعة من قريش سافروا للتجارة : أي رجع ضعيفا (من أرض غزة) بالصرف للوزن: وهو بلد بفلسطين فيها ولد الإمام الشافعي ومات بها هاشم بن عبد مناف أي وهو مارّ مع الجماعة إلى المدينة لأن عبد المطلب كان بعثه إلى غزة من الشام يمتار له تمرا مع تجار قريش كما ذكره المدايني، ثم (أقام بها) أي الفيحاء مريضا (شهرا وسار لرضوان) أي إلى رضوان الله تعالى ، فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث إليه أخاه الحرث فوجده قد توفي ودفن بالمدينة في دار التابعة بالمثناة الفوقية بعدها ألف فموحدة فعين مهملة : وهو رجل من بني عدي بن النجار ، وقيل دفن بالأبواء قرية عند الفرع من عمل المدينة ، وفي الدر الثمين أن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة يثرب ليشتري تمرا وزبيبا وسمنا ليصنع وليمة فأتاه هاذم اللذات ومفرق الجماعات فمات هناك ، فلما جاء الخبر إلى أبيه عبد المطلب بكى فلما مات عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجت الملائكة لخالقها عز وجل ، وقالت يارب بقي حبيبك ونبيك محمد يتيما ، فأوحى الله تعالى إليهم : ياملائكتي أنا أولى به من أمه وأبيه وأنا خالقه وكافيه وحافظه ومربيه وناصره على من يعاديه ، فلا يحتاج إلى سواي ولا يعتز بأعز مني وأنا حافظه وحارسه . اه

وخرت على الأفواه حزنا وحسرة
تماثيل أصنام عبدن وصلبان
وبالحمل نادت في قريش دوابها
بقول فصيح مخرس كل ملسان
وأصبحت الأحبار تلهج جهرة
بأخباره الحسنى وسائر كهان
تقول غدا شمس الهداية تنجلي
وينجاب ليل الشرك بالأغيد الغاني
ولما مضى شهران من بعد حمله
توفي بالفيحاء والده الهاني
أتاها سقيم الجسم من أرض غزة
أقام بها شهرا وسار لرضوان

(وفي

وفى كل شهر تمّ من حمل أحمد
لإظهاره فى السكون يبدو دا آن
ولم تشك فى حمل به أمه الوهن
سوى رفع حيض دل عنه بإيقان
ويأتى لها فى الشهر آت مبشرا
يقول حملت أشرف الإنس والجان

(وفى كل شهر تم من) شهور (حمل أحمد) صلى الله عليه وسلم (لاظهاره) أى أحمد (فى السكون) أى فى الوجود (يبدو ندا آن) من الملائكة نداء فى الأرض ونداء فى السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ميمونا مباركا ، وقوله وفى كل شهر متعلق بيبدو لا بندا آن ، وقوله من حمل متعلق بتمّ ، وقوله لإظهاره متعلق بندا آن تعليل له : أى وإنما يبدو ندا آن لأجل إظهاره فى الموجودات ولذلك فرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذا حيتان البحار يبشر بعضها بعضا (ولم تشك فى حمل به) صلى الله عليه وسلم (الوهن) أى الضعف (أمه) صلى الله عليه وسلم آمنة (سوى رفع حيض دل) أى ذلك الرفع (عنه) أى الحمل : أى عليه فعن بمعنى على (بإيقان) أى بيقين وهو العلم الحاصل عن نظر واستدلال . روى أن آمنة كانت تحدث أنها أتيت : أى وهى نائمة حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة وقالت ما شعرت بأنى حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النساء إلا أنى أنكرت رفع حيضتى وربما كانت ترفع عنى وتعود أى إنها كانت تشك فى الحمل بسبب انقطاع دم الحيض عنها أحيانا ، وقالت أيضا أتانى آت وأنا بين النائمة واليقظانة ، فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام ، ثم أمهلنى حتى إذا دنت ولادتى أتانى : أى يقظة وعيانا ، فقال لى قولى :

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا رواه ابن إسحق . قوله ولا وحما : أى ولا وجدت له أى للحمل وحما بفتحات وهو اشتهاء الحبلى للموالح وغيرها . قوله ثم أمهلنى أى أخر إتيانه لى مدة وعلم أن الرؤيا الأولى هى فى النوم الصرف ، ولما حصل أصل الاستئناس بالأولى كانت الثانية أقرب إلى التيقظ ، ولما تمّ الاستئناس بالثانية كانت الثالثة عيانا وهكذا حالة الله مع نبيه دائما الترقى فى الكمال كما يشير له قوله تعالى « وللآخرة خير لك من الأولى » وتكرر الرؤيا لزيادة التبشير والمسرة (ويأتى لها) أى آمنة واللام زائدة فى المفعول (فى الشهر) اللام للاستغراق أى فى جميع شهور حمله صلى الله عليه وسلم (آت) من الأنبياء عليهم السلام وغيرهم (مبشرا * يقول) أى الآتى (حملت أشرف الإنس والجان) قال محمد السمانودى فى الدر الثمين : فلما استقر حمل آمنة وتتابعت شهورها فما من شهر يمضى عليها إلا ومناد ينادى فى السموات ومواقف الملائكة وسائر أقطار الأرض مضى لمحمد من أيامه كذا وكذا وبقى لولادته كذا وكذا ، وكانت آمنة تهتف بها الهواتف بالليل والنهار عند خلوتها وكانت تخبر عبد الله بذلك فيقول لها اكتمى أمرك فسيكون لولدك شأن عظيم حتى مضت لها ستة أشهر وهى لا ترى فى حملها ثقلا ولا ألما بل كل يوم تزداد حسنا وجمالا فلما دخلت فى الشهر الأول من شهورها تزلزل إيوان كسرى فأتاها فى منامها آدم فقال لها أبشرى بسيد العالم ، وفى الشهر الثانى امتلأت الأكوان بالبشرى وأتاها فى منامها إدريس وبشرها بصاحب التسبيح والتقديس ، وفى الشهر الثالث غارت بحيرة ساوة وأتاها فى منامها نوح النصوح وبشرها بالنبى صاحب الفتوح ، وفى الشهر الرابع فاض وادى سماوة وجاءها شعيب وبشرها بمن بيده مفاتح الغيب ، وفى الشهر الخامس كثرت الأنوار وجاءها هود وبشرها بصاحب الشفاعة فى اليوم الموعود ، وفى الشهر السادس مات والد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة وأتاها نبى الله داود وبشرها بصاحب المقام المحمود ، وفى الشهر السابع خمدت النيران وأتاها فى منامها نبى الله سليمان وبشرها بصاحب البيان والقرآن ، وفى الشهر الثامن ذلّ كسرى وهان وأتاها موسى الكليم وبشرها بصاحب الخلق العظيم ، وفى الشهر التاسع سقط عن رأس كسرى التاج وعظم أمره وهاج فسأل الرهبان والكهان

ومذ تمّ حمل الهاشمىّ محمد آتى أمه فى الطلق أربع نسوان
فنتان من حور الجنان تبدتا وآسية مع مريم بنت عمران
هنالك شدّ الطلق حزم نطاقه وجاد لها الساقى بكأس هنا هان
فأطلعت البدر المنير متمما على أكمل الأوصاف مكحول أعيان

فقالوا قد أتى وبان مولد سيد ولد عدنان ، رأتاها فى منامها عيسى المسيح وبشرها بصاحب الوجه المليح ، ولما دخلت فى الشهر التاسع فأول ليلة منه حصل لآمنة السرور والهنا ، وفى الليلة الثانية بشرت بنيل المنى ، وفى الليلة الثالثة قيل لها يا آمنة لقدحملت بمن يقوم بحمدنا وشكرنا ، وفى الليلة الرابعة سمعت تسبيح الملائكة معلنا ، وفى الليلة الخامسة رأت نبى الله الخليل وقال لها أبشرى بالنبى الجليل صاحب النور والثنا ، وفى الليلة السادسة دام الأنس والسرور والفرح والهنا ، وفى الليلة السابعة سطع نور الرضا وعمّ الغنى ، وفى الليلة الثامنة طافت الملائكة ببيت آمنة لما قرب وضعه ودنا ، وفى الليلة التاسعة بدا سعدها والمنى ، وفى الليلة العاشرة زال عنها التعب والعنا ، وفى الليلة الحادية عشرة صاحت الملائكة لخالقها بالحمد والثنا ، وفى الليلة الثانية عشرة ولد سيد البشر وكانت ليلة الاثنين ثانى عشر ربيع الأوّل على أصح الأقوال اه (ومذ) أى وقت (تمّ حمل الهاشمى محمد) صلى الله عليه وسلم (أتى أمه) صلى الله عليه وسلم (فى) حال (الطلق) أى وجع الودة ولم يعلم بها أحد لاذكر ولا أنثى كما فى المواهب (أربع نسوان) كالنخل طوالا كأنهنّ من بنات عبد مناف يحدقن بها فهى تتعجب وتقول واغوثاه من أين علمن بى؟ فقلن لها نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين ، وإلى هذا أشار الناظم (فنتان من حور الجنان تبدتا) أى ظهرتا (وآسية) بالصرف للوزن وهى بنت مزاحم وكانت عمة موسى وهى ذات فراسة صادقة ولذا قالت فى موسى عليه السلام «قرة عين لى» وقد اختارت القتل على الملك والعذاب على النعيم (مع) بسكون العين (مريم) بالصرف للوزن (بنت عمران) الصدّيقة بنص القرآن وهى من ذرية سليمان ابن داود، وبينها وبينه أربعة وعشرون نبيا وأقامت بمصر مع ولدها عيسى اثنى عشرعاما ثم رجعت به إلى الشام (هنالك) أى فى ذلك الوقت (شدّ الطلق حزم نطاقه) والحزم والربط والنطاق بكسر النون: هوشبه إزارفيه تكة تلبسه المرأة، وقيل النطاق أن تلبس المرأة ثوبا ثم تشد وسطها بحبل وترسل الأعلى على الأسفل وذلك كناية عن شدة الوجع كما قالت آمنة واشتدّ بى الأمر وأنا أسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم وأهول مماتقدم، والوجبة بسكون الجيم السقطة ولعل ذلك حركة الملائكة وأصواتها (وجادلها) أى آمنة: أى أعطاها (الساقى بكأس هناهان) والكأس: الإناء الذى يشرب فيه، ومعنى هنا اللذة والمراد به الماء ، ومعنى هان اللذيذ كما قالت آمنة: رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب أى الخوف وكل وجع أجده ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها وأصابنى نور عال . وفى الدر الثمين: ولما كملت آمنة العدد جاءها المخاض فنوديت من جانب البيت الحرام آمنة تأهبى لولادة الولد الميمون، قالت فبينما أنا مفكرة فى ذلك إذ دخل علىّ نساء طوال الأعناق يفوح منهنّ روائح المسك الأذفر عليهنّ ثياب السندس الأخضر متقنعات بقناع العبقرى الأحمر وإذا بأيديهن كاسات من الذهب فيها ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأطيب رائحة من المسك الأذفر فأسقيننى ذلك فأزال عنى كل هلع وفزع ، ثم تقدمت إحداهنّ إلىّ وقالت الهناء لك والبشارة يا آمنة بسيد أهل الارض والسماء خاتم النبيين ورسول رب العالمين ، ثم تأخرت وتقدمت الأخرى وقالت من مثلك يا آمنة وقد جئت بالحبيب الأعلى والنور الأبهى والمشفع فى الخلق غدا قالت آمنة وكن يهنئننى واحدة بعد واحدة ويخاطبننى بخطاب لم أسمع بأرقّ منه ولا أعذب لفظا (فأطلعت البدر المنير متمما * على أكمل الأوصاف) ويجب علينا أن نعتقد أن تمام الإيمان به صلى الله عليه وسلم الإيمان بأن الله تعالى أوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده فى آدمى مثله، وسرّ ذلك أن محاسن الذوات دليل على مابطن فيها من بدائع الأخلاق وجلائل الصفات ، ونبينا

صلى

صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل إليها غيره في كل من ذينك أفاده ابن حجر (مكحول أعيان) وهذا الجمع لاثنين كما هو معلوم، يعني ولدته صلى الله عليه وسلم أمه آمنة رضي الله عنها مكحل العينين بكحل قدرة الخالق الذي يقول للشيء كن فيكون :

(إلهي روّح روحه وضريحه بعرف شذي من صلاة ورضوان)

(وحين بدا) أي ظهر صلى الله عليه وسلم (كالشمس) في ضياء وجهه صلى الله عليه وسلم بالنور التام (هلال صارخا) بالخاء المعجمة أي صائحا (فشمته الأملاك في الحين والآن) والتشميت: هو أن يقال للعاطس يرحمك الله بالشين المعجمة إذا دعا له بالسلامة من الشوامت: أي المصائب أو بالسين المهملة إذا دعا له ببقاء سمته كما هو لأن العطاس ربما كان سببا لتعويج العنق . روى عن عبد الرحمن بن عوف عن أمه الشفاء بنت عمرو وهي دايته قالت: لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع أي نزل على يديّ فاستهلّ فسمعت قائلا يقول : رحمك الله ، قالت الشفاء وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الروم ثم ألبسته وأضجعته، وأخذ بعض العلماء من قول الشفاء فاستهل فسمعت قائلا يقول : رحمك الله أنه صلى الله عليه وسلم عطس حين الولادة وحمد الله تعالى لأن التشميت لايقال إلا على مايقال عند العاطس ورده ابن حجر بقوله حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب من أحوال المولودين فخلافه لايصار إليه إلا بتصريح من يعتمد عليه فيه :أي وأما الحديث الذي روته الشفاء ففيه لفظ يشبه التشميت، وقال بعضهم الاستهلال وإن كان هو صياح المولود أول مايولد إلا أن حمله هنا على العطاس قريب كحمل القائل على الملك. وفي مطلع الأنوار : ومن عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم أنه تكلم حين ولدته أمه ، فقال «الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا» اهـ فهو صلى الله عليه وسلم ممن تكلم في المهد وكان مهده يتحرك بتحريك الملائكة وكان يناغي القمر وهو في مهده ، وروى عن عمه العباس رضي الله عنه «أنه قال يارسول الله دعاني إلى الدخول في دينك علامة لنبوّتك رأيتك في المهد تكلم القمر وتشير

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET
https://twitter.com/SourAlAzbakya

إليه بأصبعك فحيثما أشرت إليه مال القمر فقال صلى الله عليه وسلم كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته »' أي سقطته حين يسجد تحت العرش (نظيفا) أي خاليا عن القذر . روى عن إسحق بن عبد الله « أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر» رواه ابن سعد (وسيع الصدر بالحلم قد سما) أي قد ارتفع صلى الله عليه وسلم وفاق سائر الأنبياء والمرسلين بالحلم ، أو المعنى قد دل وسع الصدر على الحلم أي التأني في الأمور وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وإن عظم (ومقطوع سر) بلا هاء في آخره وهو ماتقطعه القابلة من سرة المولود (بل بأكمل إختان) أي هيئة المختون ، لأن الختن القطع ولاقطع هنا قال صلى الله عليه وسلم « من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي» : أي عورتي، وإنما ولد صلى الله عليه وسلم مختونا لأنه في حقه غاية الكمال فإن القلفة تمنع كمال النظافة والطهارة فأوجده ربه مكملا سالما من النقائص والمعايب ولايعترض بالعلقة التي أخرجت من قلبه لأنها لما كانت من الأمور الباطنة أخرجت ليظهر إخراجها على يد جبريل لأجل أن يتحقق الناس كمال باطنه كظاهره . وقد حصل من الاختلاف في ختانه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال : أحدها أنه ولد مختونا كما تقدم وهو ماعليه أكثر العلماء . الثاني أنه ولد غير مختون وإنما ختنه جده عبد المطلب يوم سابع ولادته وصنع له مأدبة وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم . الثالث أنه ختنه جبريل عند حليمة حين طهر قلبه (تدلت) أي قربت (له) اللام بمعنى إلى أي إليه صلى الله عليه وسلم (الزهر) أي الكواكب المضيئة كرامة له وتعظيما لم يقع

(إلهي روّح روحه وضريحه
بعرف شذيّ من صلاة
ورضوان)
وحين بدا كالشمس هلال
صارخا
فشمته الأملاك في الحين
والآن
نظيفا وسيع الصدر بالحلم
قد سما
ومقطوع سرّ بل بأكمل
إختان
تدلت له الزهر التي عم ضوؤها

نظره لغيره وهذا جمع أزهر (التى عم ضوؤها * ربى الحرم المكى) نسبة إلى مكة، والربى: بضم الراء هى العال المرتفعة (وسائر قيعان) جمع قاع: وهى المستوى من الأرض كما روى عن عثمان بن أبى العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله أنها قالت «لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع على» رواه البيهقى (إلى جده) صلى الله عليه وسلم عبد المطلب وهو يطوف بالبيت الحرام أو جالس فى حجر إسماعيل (جاء البشير) بأن آمنة ولدت غلاما (مسارعا) أى مبادرا إليه (فجاء) أى عبد المطلب بيت آمنة (قرير العين) أى فرح العين ومطمئنها برؤيته صلى الله عليه وسلم فلا تطمح عينه إلى غيره صلى الله عليه وسلم (صاحب أردان) جمع ردن: وهو أصل كم القميص، وهذا كناية عن شدة الفرح والسرور (فشاهد) أى عبد المطلب (نور الله) أى نورا خلقه الله وأضيف النور إلى الله تشريفا له (أشرق) أى أضاء ذلك النور ببيت آمنة (مسفرا) أى مضيئا (وألبس) أى عبد المطلب (من بشرى الهناء) أى من الاستبشار الذى لا آفة فيه ولا نكد (ردا آن) هذا مفعول ثان لألبس، وأما المفعول الأول فهو نائب الفاعل ونصبه فتحة مقدرة على الألف بناء على لغة من يلزم المثنى الألف فى الرفع والنصب والجر وهم بنو الحرث ابن كعب وغيرهم ولعل المراد بالرداءين حصول الولد ورؤية النور (وأدخله) صلى الله عليه وسلم (فى كعبة) شريفة (ودعا له) صلى الله عليه وسلم بدعاء الخير (وعوذه) أى رقاه (بالبيت) أى ببركة البيت الذى يلتجئ إليه كل مستجير: أى من يطلب الأمان (من حاسد شان) أى مبغض (وقام به) أى صلى الله عليه وسلم (يدعو) عند الكعبة الشريفة (ويشكر ربه * على ماله) أى لعبد المطلب (أعطى) أى الرب فانه يوقن بأنه الرسول المبعوث إلى كافة الخلق بالرحمة والخير فعلى للتعليل: أى لأجل إعطائه إياه (بصدق) أى فى النية بأن تكون النية خالصة من المحبطات (وإذعان) أى خضوع والجار والمجرور متعلق بيدعو. وفى الدر الثمين: قال عبد المطلب لما سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض نظرت إلى البيت الحرام وقد استمال نحو ولدى محمد وخر ساجدا فى مقام إبراهيم ثم استوى قائما سمعته يهلل ويكبر ويقول طهرنى ربى بظهور المصطفى والرسول المجتبى ثم انقضت الأصنام إلى الأرض حول الكعبة منكسة على رءوسها فلما رأيت ذلك خرجت أريد منزل آمنة فاذا بغمامة بيضاء قد أظلت حجرتها فلما رأيت ذلك دنوت من بيت آمنة فشممت منه روائح المسك والعنبر فدخلت وإذا بآمنة ليس عليها أثر ولادة ورأيت النور الذى فى وجهها قد زال فاندهشت وقلت لها مافعل بالنور الذى كان فى وجهك قالت وضعته أتم وضع فقلت لها هلميه إلى حتى أنظر إليه فقالت أتانى آت كالنخلة الباسقة وقال لى يا آمنة لا تنظرى ولدى هذا لمخلوق حتى تمضى له ثلاثة أيام فجرد عبد المطلب سيفه وقال أخبرينى أمرك وإلا قتلت نفسى، فلما رأت ذلك قالت شأنك وما تريد هاهو فى ذلك البيت، قال فمضيت إلى البيت فلما دنوت منه وإذا أنا برجل لم أر أطول منه كالنخلة الباسقة شاهرا بيده سيفه فصرخ صرخة ارتعدت منها فرائصى واندهل لبى وقال إلى أين تريد؟ فقلت إلى ولدى أنظر إليه فقال قد حيل بينك وبينه ثلاثة أيام فلما كان بعد ثلاثة أيام وانقضت زيارة الملائكة له كشف للناظرين له وفرح به أهله وعشيرته فنودى له فى الأقطار هذا محمد النبى المختار رسول الملك الجبار فطوبى لحجر يضمه ولثدى يرضعه، فكان أول من نظر إليه جده عبد المطلب فأومأ إلى جده كالمسلم فامتلأ البيت من نوره وتبسم فى وجه جده فضمه عبد المطلب إليه وقبل مابين عينيه وجعل يقول.

ربى الحرم المكى وسائر قيعان
إلى جده جاء البشير مسارعا
فجاء قرير العين صاحب أردان
فشاهد نور الله أشرق مسفرا
وألبس من بشرى الهناء ردا آن
وأدخله فى كعبة ودعا له
وعوذه بالبيت من حاسد شان
وقام به يدعو ويشكر ربه
على ماله أعطى بصدق وإذعان

الحمد

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الزائد البرهان
ماشله فى إنسها والجان هذا الذى سمى فى القرآن
بأحمد خير بنى عدنان أعيذه بالبيت ذى الأركان
من كل عبد جائل العنان يرمقه وليس ذا إيمان
أعيذه بقدرة الرحمن الواحد المهيمن المنان
وسيدى محمد العدنانى قد فاق بالحسن على الغلمان
أحمد مكتوب على السان صلى عليه الواحد الفردانى

والمراد بالسان هنا أوراق الأشجار فى الجنان وخيام الحور العين والولدان وهو بالسين المهملة (وسماه) صلى الله عليه وسلم (بعد السبع) أى سبع ليال تامة (ثم) أى فى ذلك الوقت (محمدا * ليحمده المولى) أى متولى أمورنا (العلى وكونان) أى وجودان، والكونان الدنيا والآخرة وهو على تقدير مضاف أى أهل كونين وصنع له مأدبة وعق عنه صلى الله عليه وسلم بكبش ، والمسمى له صلى الله عليه وسلم بذلك عبد المطلب لموت أبيه قبل الولادة مع ماحدثته به أمه آمنة من أنه أتاها آت وهى بين النائم واليقظان وقال لها إذا وضعتيه فسميه محمدا ، ولما ذبح عنه جده عبد المطلب يوم السابع من الولادة دعا قريشا فلما أكلوا قالوا ما سميته ؟ قال سميته محمدا قالوا لم سميت ولدك محمدا وليس هذا الاسم من أسماء آبائك وقومك؟ قال رجوت أن يحمد فى السماء وفى الأرض وهذا بحسب الظاهر وإلا فالمسمى له بذلك حقيقة هو الله تعالى لأنه هو الذى ألهم جده ذلك فهذا الاسم بتوقيف شرعى كسائر أسمائه صلى الله عليه وسلم (وقد سن أهل العلم والفضل) أى الخير (والتقى) ومبدؤه اتقاء الشرك وأوسطه اتقاء المحارم وغايته البراءة من كل شئ سوى الله تعالى ، وكذا يقال فى التقوى (قياما على الأقدام) أى حكموا بسنيته شرعا . قال محمد السمنودى فى الدر الثمين : وقيام الناس عند ذكره صلى الله عليه وسلم بدعة حسنة (مع) بسكون العين (حسن إيمان) أى خضوع (بتشخيص ذات المصطفى) أى برؤيته : أى بأن يمثل نفسه كأنه يراه بعينيه (وهو) صلى الله عليه وسلم (حاضر) فى ذلك المجلس (بأى مقام فيه يذكر) صلى الله عليه وسلم (بل) هو صلى الله عليه وسلم (دان) أى قريب من الذاكر (فطوبى) أى العيش الطيب أوالحسنى بمعنى الجنة كما قاله قتادة ، أوالخير والكرامة كما قاله النخعى ، أو الفرح وقرة العين كما قاله ابن عباس (لمن تعظيمه) صلى الله عليه وسلم (جل قصده) بضم الجيم أى أكبر مقصوده (ويافوزه) أى نجاته وظفره بالخير يحظى بالبناء للفاعل من باب تعب يتعب: أى يرفع منزلته عند الله تعالى (بعفو) أى بمحو ذنوبه (وغفران) أى ستر خطاياه والجار والمجرور متعلق بيحظى أو بفوزه وهذا أقرب . قال المناجى: فالاعتناء بوقت مولده الشريف من أعظم القربات وذلك يحصل بإطعام الطعام وقراءة القرآن وذكر القصائد النبوية إلى غير ذلك مما لا يشتمل على شئ من المحرمات والمكروهات أو خلاف الأولى :

(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(وقد أرضعته) صلى الله عليه وسلم (الأم) أى أمه آمنه (سبعا) أى سبعة أيام ، وقيل ثلاثة ، وقيل تسعة وخير الأمور أوسطها (وبعدها) أى آمنة (ثويبة) جارية عمه أبى لهب وقد أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم . وقد رؤى أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له ماحالك ؟ فقال فى النار إلا أنه خفف عنى كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعى هاتين ماء، وأشار برأس أصبعه وأن ذلك ماحاق لثويبة عند مابشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم وبإرضاعها له (أيضا) أى كما أرضعته أمه

وسماه بعد السبع ثم محمدا ليحمده المولى العلى وكونان
وقد سن أهل العلم والفضل والتقى قياما على الأقدام مع حسن إيمان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأى مقام فيه يذكر بل دان
فطوبى لمن تعظيمه جل قصده ويافوزه يحظى بعفو وغفران
(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذى من صلاة ورضوان)
وقد أرضعته الأم سبعا وبعدها

(من جرائيم) أي أصول (قحطان) بن عامر بن شالخ كما في القاموس ، وجميع العرب ترجع إلى قحطان وإلى عدنان الذي هو الجدّ الأعلى للنبي صلى الله عليه وسلم كما نقله ابن حجر عن المبرد ، وقال الكلبي: وقحطان هو الجشعم بن نبت بن إسمعيل صلى الله عليه وسلم ، وقال الشيخ الباجوري نقلا عن العلامة الزرقاني: والعرب ثلاثة أقسام : عاربة وهم الخلص من العرب ، ومتعربة وهم بنو قحطان ، ومستعربة وهم بنو إسمعيل الذين هو صلى الله عليه وسلم منهم انتهى ، وفي الصحاح العرب العاربة هم الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان وهو اللسان القديم والعرب المستعربة هم الذين تكلموا بلسان إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام (وثالثهن) أي المرضعات (السعد) أي البركة في دين ودنيا (وافى) أي أتى (لسعدها) أي الثالثة أو حليمة وإن كانت متأخرة عن الضمير لكنها متقدمة حكما (حليمة) بنت أبي ذؤيب من بني سعد بن بكر ، ونسبت إليه مع أنه الجد التاسع لأنه اشتهر به وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم أيضا ؛ ومن سعادتها وعظم أجرها توفيقها إلى الإسلام هي وزوجها وبنوها وهم عبد الله والشيماء وأنيسة بل رد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي هوازن إليهم بواسطة كونهم قومها . وعن ابن عباس قال : كانت حليمة لاتدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع أخته الشيماء في الظهيرة إلى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت لم أتيت به في هذا الحر ؟ فقالت أخته يا أمه ماوجد أخي حرا رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع وقوله وثالثهن مبتدأ وقوله حليمة خبره وقوله السعد إلى آخره جملة معترضة (مذ منها) أي حليمة (له) صلى الله عليه وسلم (درّ) أي سال (ثديان) أي كثر لبنهما فمذهنا ظرف على المشهور لأنها يليها الجملة الفعلية وهي درّ وقيل مضاف إلى تلك الجملة والتقدير في وقت درّ ثدييها وقيل إلى زمن مضاف إلى الجملة أي مذ زمن ذلك ، والمعنى في زمن ذلك فمذ حينئذ بمعنى في وهو متعلق بقوله وافى أو بقوله السعد ، وقيل إن مذ هنا مبتدأ فيجب تقدير زمان مضاف للجملة يكون هو الخبر وحينئذ يكون بمعنى الزمن والتقدير الوقت : أي وقت سعدها وقت درّ ثدييها كذا مايؤخذ من مغني اللبيب (وكان) أي الشأن (قديما) أي في زمن سابق (من عجاف) أي هزال (تراهما) أي الثديين (كشنين) أي كالجلدين الباليين (مابضا) أي ماسال الثديان (بقطرة ألبان) كما قالت حليمة: خرجت في نسوة من بني سعد عشر يطلبن الرضعاء في سنة ذات جدب وقحط ولم يكن عندنا ما نأكله وكنت في شدة من الجوع وما نام ليلتنا من بكاء صبياننا من الجوع وما في بيت أحدنا مايقيتهم ولكن نرجو الغيث والفرج وكانت تمضي علىّ الأيام ولم أطعم فيها بطعام وكنت ألتوى من الجوع كما تلتوى الحية ، وكانت نساء بني سعد في ضيق من العيش وكنت أرى بطونهنّ لاصقات بظهورهن إذا بكت إحداهنّ لاتكاد الدمعة تخرج من عينها من شدة اليبوسة وضيق الزمان حتى كادت العرب أن تهلك بأسرها كذا في الدر الثمين وقوله قديما ظرف لقوله تراهما كشنين وقوله من عجاف متعلق بمحذوف حال من شنين وقوله مابضا بيان لشنين (ثمال) صلى الله عليه وسلم (إلى الثدى اليمين مسارعا) أي مائلا عليه بما شاء من اللبن فشرب منه حتى روى (وعف) أي امتنع (عن) الثدى (الثاني) أي الآخر وهو اليسار (لإرضاع) من الرضاع وكانت تلك الحالة حاله صلى الله عليه وسلم دائما (فأ كرم به) صلى الله عليه وسلم وهذا للتعجب (من منصف) أي عدل (أي منصف) صفة : أي عدل كامل (ولا غرو) أي لاعجب (منه) صلى الله عليه وسلم (العدل ليس بنكران) قال أهل العلم : أعلمه الله تعالى أن له شريكا فألهمه العدل وأرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاث نسوة أبكار من بني سليم أخرجن ثديهن فوضعنه في فمه صلى الله عليه وسلم فنزل اللبن ودرّ في فيه ، وهؤلاء النسوة كنّ أبكارا كل واحدة تسمى عاتكة ، فلذلك قال

وبية أيضا من جرائيم قحطان
وثالثهن السعد وافى لسعدها
حليمة مذ منها له درّ ثديان
وكان قديما من عجاف تراهما
كشنين مابضا بقطرة ألبان
ثمال إلى الثدى اليمين مسارعا
وعف عن الثاني لإرضاع إخوان
فأ كرم به من منصف أيّ منصف
ولا غرو منه العدل ليس بنكران

صلى الله عليه وسلم « أنا ابن العواتك من سليم » ولم ترضعه صلى الله عليه وسلم امرأة إلا وأسلمت.
قال المدابغي: وجملة مرضعاته صلى الله عليه وسلم عشرة نظمها بعضهم من بحر الكامل:

إن رمت تحفظ مرضعات المصطفى ‏ ‏ ‏ خذهن بالترتيب في التبيان
أمّ له وكذا ثويبة يافتى ‏ ‏ ‏ وحليمة ثلت ومنا الرحمن
وكذلك امرأة لحمزة أرضعت ‏ ‏ ‏ وثلاث أبكار روى في الشان
مع أمّ فروة أم أيمن بعدها ‏ ‏ ‏ مع خولة شرّفن بالعدنان

(وكان) أى رسول الله (عليه الله صلى مسلما * يشب) بكسر الشين: أى يكبر صلى الله عليه وسلم (شبابا فائقا كل غلمان) أى شبابا لايشبه الغلمان (فشب بيوم مثل شهر لصبية) بكسر الصاد وسكون الباء جمع صبى وهو جمع قلة ولكن المعنى على جمع كثرة ويشب فى الشهر شباب السنة، ولما صار ابن شهرين كان يزحف مع الصبيان إلى كل جانب (فبعد ثلاث) أى فبعد تمام ثلاث من الشهور (قد أقلته) صلى الله عليه وسلم أى رفعته (رجلان) فقوم مستقلا وفى أربعة كان يمسك الجدار (وفى خمسة) من الشهور (أضحى) أى صار صلى الله عليه وسلم (يسير بقوة) ولما تم له ستة أشهر كان يسرع المشى وفى سبعة أشهر كان يسعى ويعدو إلى كل جانب، ولما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه (وفى تسعة) من الشهور (ناجى) أى تكلم (بأفصح تبيان) هذا من إضافة الصفة للموصوف: أى بالكلام الفصيح، وفى رواية عن حليمة أن أول كلام تكلم به فى بعض الليالى: لا إله إلا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لاتأخذه سنة ولا نوم وكان لايمس شيئا إلا قال بسم الله، ولما بلغ عشرة أشهر مرت غنمات حليمة يوما فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت إلى صواحبها، ولما بلغ عمره ثمان سنين مات كافله جده عبد المطلب وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف، وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله (ويوما من الأيام وهو) صلى الله عليه وسلم بسكون الهاء للوزن (بحيها) أى مع قبيلة حليمة من الصبيان (توجه) صلى الله عليه وسلم (يرعى) غنما خارج بيوت حليمة، وقد بلغ من السن أربعة أعوام أو ثلاثة وهذا أقرب (إذ أتاه) صلى الله عليه وسلم (رسولان . من الله) عز وجل (شقا صدره) الشريف (ثم علقة) أى نكتة سوداء (لقد أخرجا) من قلبه صلى الله عليه وسلم (واستنزعا حظ شيطان) أى نصيبه ومحل وسوسته الذى يضع خرطومه به وهى تلك العلقة (وبالثلج) الذى فى طست من الذهب (أيضا) أى كما استنزعا حظ الشيطان (غسلاه) بتشديد السين: أى غسلا صدره وقلبه ثم غسلا ذلك ثانيا بماء الكوثر من الجنة الذى فى إبريق من فضة (وحكمة) بكسر الحاء علما نافعا (لقد ملآه) أى صدره (مع) بسكون العين (معانى إيمان) أى تصديق قلبه، قالت حليمة فلما فصلته عن الرضاع بعد مضى حولين قدمنا به على أمه ونحن أحرص شىء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلنا لها لو تركتيه عندنا حتى يغلظ جسمه وتزيد قوته فانا نخشى عليه وباء مكة فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفى بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد ويسرع فى المشى فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان: أى ملكان فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه أى متغيرا فاعتنقه أبوه فقال أى بنىّ ماشأنك؟ فقال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان . وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت مسترضعا فى بنى سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم فى بطن واد مع أتراب لى من

وكان عليه الله صلى مسلما
يشب شبابا فائقا كل غلمان
فشب بيوم مثل شهر لصبية
فبعد ثلاث قد أقلته رجلان
وفى خمسة أضحى يسير بقوة
وفى تسعة ناجى بأفصح تبيان
ويوما من الأيام وهو بحيها
توجه يرعى إذ أتاه رسولان
من الله شقا صدره ثم علقة
لقد أخرجا واستنزعا حظ
شيطان
وبالثلج أيضا غسلاه وحكمة
لقد ملآه مع معانى إيمان

فردته حقا وهى غير سخية
إلى أمه خوفا به شر حدثان
وقد طرّز السعد العريض برودها
ومن بعد فقر أصبحت ذات وجدان
(إلهى روّح روحه وضريحه
بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)
فأمت به الأم الأمينة يثربا
زور لعبد الله مشهد غفران

الصبيان إذ أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملء ثلجا فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هرابا مسرعين إلى الحىّ فعمد أحدهم فأضجعنى على الأرض إضجاعا لطيفا ثم شقا مابين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنحّ ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال أى أشار بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا فإذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوّة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمرّ يده بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى » وقد وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجىء جبريل له بالوحى فى غار حراء ، ومرة أخرى عند الإسراء به ، وروى الشق أيضا وهو ابن عشر سنين . والحكمة فى شقّ صدره الشريف فى حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف فى سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ عليه الصلاة والسلام على أكمل الأحوال من العصمة، وقد روى «أنه ختم بخاتم النبوّة بين كتفيه وكان ينمّ مسكا وأنه مثل زرّ الحجلة» ذكره البخارى (فردته) صلى الله عليه وسلم (حقا وهى) أى حليمة بسكون الهاء (غير سخية) أى غير رضية فى ردها بل مكرهة عليه لما عاينته من بركاته صلى الله عليه وسلم، وإنما ردته لخوف عليه صلى الله عليه وسلم من النازلة من عدوّ ونحوه (إلى أمه) صلى الله عليه وسلم (خوفا به) صلى الله عليه وسلم فالباء بمعنى على (شر حدثان) بكسر الحاء أى نوائب الدهر قالت حليمة لبعلها قد أمرتك بحمله ونقله إلى مكة فأبيت والآن أخشى عليه من عدوّ يصيبه قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة إلى أمه ، فقالت ماردكما به فقد كنتما حريصين عليه ؟ قلنا نخشى عليه الإتلاف والأحداث فقالت ماذاك بكما فأصدقانى شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره أى وهو خبر شق صدره قالت أخشيتما عليه الشيطان ؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل خليا سبيله وإنه لكائن لابنى هذا شأن فدعاه عنكما (وقد طرّز) أى زين (السعد) أى اليمن (العريض) أى المتسع (برودها) أى حليمة جمع برد بضم الباء وهى أكسية يلتحف بها وأصل الطراز هو علم الثوب وهو للموضع الذى تنسج فيه الثياب الجيدة أو ثوب نسج للسلطان (ومن بعد فقر أصبحت) أى حليمة أى صارت (ذات وجدان) أى غنى . قال بعضهم من بحر الطويل :

لقد بلغت بالهاشمىّ حليمة ... مقاما علا فى ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها ... وقد عم هذا السعد كل بنى سعد
(إلهى روّح روحه وضريحه ... بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(فأمت) أى قصدت (به) صلى الله عليه وسلم (الأم) أى أمه صلى الله عليه وسلم (الأمينة) أى المأمونة من شر حاسد ومخوف (يثربا) بألف الإطلاق للوزن وهى اسم للأرض التى بالمدينة فى ناحية منها ، سميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها فى قديم الزمان (تزور لعبد الله مشهد غفران) والمشهد محل حضور الناس. قال المدابغى: ولما أكمل صلى الله عليه وسلم ست سنين توجهت به أمه مع حاضنته أم أيمن إلى المدينة لزيارة أخوال جده بنى النجار فأقاموا عندهم شهرا ورجعوا إلى مكة ، فلما نزلوا بالأبواء وهو محل بين مكة والمدينة وهو أقرب إلى المدينة ماتت أمه صلى الله عليه وسلم فدخلت به أم أيمن مكة لأنها حاضنته فضمه جده عبد المطلب إليه وكان يرقّ عليه ويعلى منزلته ويقول إن لولدى

هذا شأنا عظيما انتهى (فزارت) أى أمه صلى الله عليه وسلم (ومعها) أى الأم (أم أيمن) بركة الحبشية التى ورثها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه عبد الله (قد أتت) أى الأم المدينة (وآبت) أى رجعت الأم منها (وبالأبواء دانت) أى قربت (لديان) أى لله الواحد القهار : أى ماتت فيه ومرضت فى الطريق وقيل دفنت بالمعلى . قال السمانودى : فلما ماتت أمه حضنته بركة الحبشية وجاءت به إلى جده بعد خمسة أيام من بعد موت أمه آمنة فضمه إليه ورق إليه رقة لم يرق مثلها أحد على ولده (وقبل احتضار) أى حضور موتها (أشعرت) أى أعلمت آمنة (بمقالة تبشره) صلى الله عليه وسلم (فيها) أى المقالة (بأشرف أديان) جمع دين : وهو ما يتعبد به (تبشره) صلى الله عليه وسلم (بالوحى) أى بأنه حامله وأمينه : وهو ما يلقى إليه صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى كما ألقى إلى الأنبياء قبله (بعد رسالة) من عند الله تعالى (وتنهاه) صلى الله عليه وسلم (فيها) أى المقالة (عن عبادة أوثان) جمع وثن : وهو الصنم سواء كان من خشب أو حجر أو غيره (بمضمون شعر) وهو القول المنظوم الموزون (مشعر بنجاتها) أى آمنة. قوله بمضمون بدل من قوله بمقالة وهما متعلقان بأشعرت (هنيئا لها) أى ثبت لآمنة الفوز : أى النجاة والظفر بالخير به صلى الله عليه وسلم حال كونه هنيئا : أى لا آفة فيه ولا نكد فهو حال مؤكدة لعاملها الملتزم إضماره لأنه لم يسمع إلا كذلك وهو اسم فاعل من هنئ أو هنؤ كشريف من شرف : وهو ما أتى بلا مشقة (فازت) أى اختصت (بأشرف ولدان) بكسر الواو جمع وليد: بمعنى صبى مولود . وروى أبو نعيم من طريق الزهرى عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت شهدت آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم فى مرض موتها ومحمد عليه الصلاة السلام غلام يفع له خمس سنين وهو جالس عند رأسها فنظرت إلى وجهه صلى الله عليه وسلم ثم قالت :

بارك فيك الله من غلام	يا ابن الذى من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام	فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام	إن صح ما أبصرت فى المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام	من عند ذى الجلال والإكرام
تبعث فى الحل وفى الحرام	تبعث فى التحقيق والإسلام
دين أبيك البرّ إبراهام	فالله ينهاك عن الأصنام

* أن لا تواليها مع الأقوام *

ثم قالت : كل حى ميت وكل جديد بال وكل كثير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت رضى الله عنها (ولما انتشى) صلى الله عليه وسلم أى كبر وبلغ ثنتى عشرة سنة عند الأكثرين وقيل بلغ تسع سنين (وافى) أى سافر (لبصرى) بضم الموحدة وإسكان الصاد المهملة وبالقصر : بلدة بالشام من أعمال دمشق (وعمه) بالرفع معطوف على الضمير المستتر فى وافى وبالنصب مفعول معه وذلك لما تهيأ عمه أبو طالب الرحيل إلى الشام أتاه النبى صلى الله عليه وسلم وأمسك بزمام ناقته وقال «ياعم إلى من تكلنى لا أب لى ولا أم» فرق له أبو طالب وأخذه معه وأردفه خلفه وإلى ذلك أشار الناظم بقوله (على نجب الإعزاز) أى على ناقة الإكرام (من خير أوطان) جمع وطن مثل سبب وأسباب وهو مكة المشرفة (نخاف) أى عمه أبو طالب (به) صلى الله عليه وسلم (مكر اليهود) أى خدعهم: وهو أن يوهم الغير خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يشعر (وكيدهم) أى حيلتهم (فآب) أى أبو طالب (به) صلى الله عليه وسلم صلى (فورا) أى فى ذلك الوقت من غير تأخير (بإرشاد رهبان) جمع راهب: وهو عابد النصارى: أى فلما وصل بصرى رآه بحيرا الراهب

فزارت ومعها أم أيمن قد أتت
وآبت وبالأبواء دانت لديان
وقبل احتضار أشعرت بمقالة
تبشره فيها بأشرف أديان
تبشره بالوحى بعد رسالة
وتنهاه فيها عن عبادة أوثان
بمضمون شعر مشعر بنجاتها
هنيئا لها فازت بأشرف ولدان
ولما انتشى وافى لبصرى وعمه
على نجب الإعزاز من خير أوطان
نخاف به مكر اليهود وكيدهم
فآب به فورا بإرشاد رهبان

(إلهى روّح روحه وضريحه
بعرف شذى من صلاة ورضوان)
وسافر مولانا المشفع ثانيا
لبصرى بلاد الشأم من أرض حوران
أتى سوقها يبتاع فيه تجارة
وميسرة المولى بجملة ركبان
وذاك لأم المؤمنين التى سمت
خديجة ذات الطهر غادة إحصان
ومد حلها وافى إلى فىء دوحة
ونام بقلب مبصر غير غفلان
فمال له فى الحين وارف ظلها
بقيه هجير الحر من بين ظعنان
ومعجزة الهادى الشفيع محمد
لنسطور مذلاحت بأوضح برهان

واسمه جرجيس فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده صلى الله عليه وسلم هذا سيد المرسلين ورسول الله هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقيل له من أين علمت هذا؟ فقال إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خرّ له ساجدا ولا يسجدان إلا لنبى وإنا لنجده فى كتبنا مكتوبا وقال إن بين كتفيه خاتم النبوّة وأمر عمه أبا طالب أن يرجع به من بصرى خوفا عليه من اليهود فرجع به عمه إلى مكة ولم يجاوز بصرى . وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة . وأخرج ابن منده بسند ضعيف، عن ابن عباس « أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام فى تجارة حتى نزل منزلا فيه سدرة فقعد فى ظلها وذهب أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شىء ، فقال له من الرجل الذى فى ظل الشجرة ؟ فقال له محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب قال هذا والله نبى ما استظل تحت ظلها بعد عيسى إلا محمد صلى الله عليه وسلم ووقع فى قلب أبى بكر الصديق ، فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم تبعه » :

(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(وسافر مولانا) أى ولى أمرنا (المشفع) بفتح الفاء المقبول شفاعته عند الله (ثانيا) أى سفرا ثانيا بعد سفره مع أبى طالب (لبصرى بلاد الشأم) بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها (من أرض حوران) وهى كورة بضم الكاف أى مدينة بدمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة وله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك خمس وعشرون سنة (أتى) صلى الله عليه وسلم (سوقها) أى بصرى وقيل سوق حباشة بتهامة (يبتاع) أى يشترى (فيه) أى السوق (تجارة) أى سلعة وباع سلعته التى خرج بها (وميسرة للولى) أى العتيق (بجملة ركبان) جمع راكب وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس (وذاك) أى المذكور من التجارة وميسرة (لأم المؤمنين) فى حرمة النكاح ووجوب الاحترام (التى سمت) أى ارتفعت (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب، وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر هذا عطف بيان على أم المؤمنين (ذات الطهر غادة إحصان) أى مليحة أحصن أى تزوّج الغادة بالغين المعجمة المرأة الناعمة اللينة كما فى القاموس والحصان بفتح الحاء المرأة العفيفة ويقال أحصن الرجل : أى تزوّج كما فى المصباح وكانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة ، وكانت تحت أبى هالة بن زرارة التيمى فولدت له هندا وهالة وهما ذكران ثم تزوّجها عتيق بن عابد المخزومى فولدت هندا كذا فى المواهب (ومد حلها وافى إلى فىء دوحة) أى شجرة عظيمة : أى فلما وصل صلى الله عليه وسلم إلى بصرى نزل تحت ظل شجرة قريبا من صومعة الراهب نسطورا بالقصر فقال ما نزل تحت ظل هذه الشجرة قط إلا نبى (ونام) صلى الله عليه وسلم (بقلب مبصر غير غفلان) قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا» (فمال) أى زال عن الاستواء (له) صلى الله عليه وسلم (فى الحين) أى فى وقت وجوده صلى الله عليه وسلم (وارف ظلها) أى الدوحة هذا من إضافة الصفة للموصوف أى ظلها الوارف أى الطويل (يقيه) صلى الله عليه وسلم (هجير الحر) أى شدة الحر وهذا إما من إضافة الظرف للمظروف : أى من الحر فى وقت الهجير : وهو نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر، أو هو عند زوالها إلى العصر لأن الناس يسكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا ، أو من إضافة الصفة للموصوف : أى من الحر الشديد (من بين ظعنان) أى المسافرين وهو جمع ظاعن (ومعجزة الهادى) إلى صراط مستقيم (الشفيع) أى شفيع الخلق عند الله (محمد) صلى الله عليه وسلم (لنسطور) بحذف الألف المقصورة للوزن (مذلاحت) أى ظهرت

للمعجزة (بأوضح برهان) أي حجة ونسطورية بضم النون وقد يفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه وقال إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة هكذا في القاموس .

﴿تنبيه﴾ فرق النصارى ثلاثة : نسطورية ويعقوبية وملكانية ولكل فرقة اعتقاد هكذا أفاده ابن حجر في شرح الهمزية (تجلى) أي انكشف (له) أي لنسطورا (وجه اليقين بأنه) صلى الله عليه وسلم (نبي) وهو الذي يأتيه الخبر من السماء فينبئ أهل الأرض به (رسول) لرب العالمين (كامل النعت والشان . فجاء) أي نسطورا (إلى مولى خديجة) وهو ميسرة (سائلا) لتحقيق ما ظنه (بعينيه) صلى الله عليه وسلم (هل من حمرة لونها) أي الحمرة (فاني) أي شديدة وهي تكون في بياض العين وهو محمود محبوب (فقال) أي ميسرة (له) أي لنسطورا (فيه) أي تلك الحمرة موجودة فيه صلى الله عليه وسلم لا تفارقه أبدا (فحقق) أي فأيقن (ظنه) إياه صلى الله عليه وسلم (وأبدى) أي أظهر (له الأسرار) جمع سر (من غير كتمان . وقال) أي نسطورا (له) أي لميسرة هذا بدل من قوله وأبدى له كل من كل (كن معه) صلى الله عليه وسلم بسكون العين للوزن : أي لا تفارقه (وأحسن) بوصل الهمزة للوزن (طوية) أي نية (فهذا) نبي وهو آخر الأنبياء وهذا (هو المبعوث) إلى جميع الخلق (آخر أزمان) فلا نبي بعده صلى الله عليه وسلم (وعاد) صلى الله عليه وسلم (قرير العين) أي فرح العين ومطمئنها (منها) أي بصرى (لمكة) شرفها الله تعالى واللام بمعنى إلى (مضاعف ربح صين) صلى الله عليه وسلم (عن كل خسران) ولذلك قال ميسرة اتجرنا لخديجة أربعمائة مرة ما رأيت ربحا مثل هذا :

(إلهي روح روحه وضريحه بعرف شذى من صلاة ورضوان)

(ولما) رجع من بصرى ودخل مكة في ساعة الظهيرة و(بدا) صلى الله عليه وسلم : أي ظهر نوره (كالشمس) و (كانت خديجة) جالسة (بأعلى محل مشرف) أي عال وهو عرفة (بين نسوان . رأته) صلى الله عليه وسلم : أي علمته وأبصرته لما سبق لها من الفضل الذي فاقت به سائر أمهات المؤمنين من أزواجه صلى الله عليه وسلم على بعيره (ومعه) صلى الله عليه وسلم (من ملائكة السماء) أي من جهة العلو (رسولان) من الله تعالى (من وضح الشموس) أي حرها (يظلان) إياه فأرته خديجة النساء اللاتي عندها ومن حولها فعجبن لذلك ودخل صلى الله عليه وسلم عليها وأخبرها بالربح فسرت به وأخبرها ميسرة بما رأى وبما أخبر به الراهب نسطورا . فكان ذلك باعثا لخديجة على تزوجها به (لتنتشق) أي لتشم خديجة (التصديق) الذي هو الإيمان (من طيب قربه) صلى الله عليه وسلم فشبه الإيمان بما له ريح طيبة في النفاسة وكمال الرغبة في كل (وتعلن) أي تظهر خديجة (بالتوحيد للواحد الداني) ومعنى الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا ينقسم، فهو تعالى واحد في ذاته وصفاته ولا يحل في محل؛ ومعنى الداني القريب، فهو تعالى قريب إلينا بعلمه وهو أقرب إلينا من نطقنا وذوقنا إلى لساننا ومن شمنا إلى أنفنا وهكذا (لقد خطبت) أي دعت (تلك التقية) أي التاركة للمنهيات الفاعلة للمأمورات (نفسه) صلى الله عليه وسلم (إلى نفسها) أي إلى أن يتزوج بها وعرضت نفسها عليه، فقالت يا ابن عمي إني قد رغبت في نكاحك لقرابتك وعرفته منك وكان سنها حينئذ أربعين سنة . وسنه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الأشهر . وكانت تزوجت قبله صلى الله عليه وسلم برجلين (فقرت) أي فرحت واطمأنت (لها) أي لخديجة (منه) صلى الله عليه وسلم (عينان) أي أقرت عينها حتى لا تطمح عينها إلى من سواه (نفس) أي بين صلى الله عليه وسلم (على الأعمام في الحين) أي في ذلك

تجلى له وجه اليقين بأنه
نبي رسول كامل النعت والشان
فجاء إلى مولى خديجة سائلا
بعينيه هل من حمرة لونها قاني
فقال له فيه فحقق ظنه
وأبدى له الأسرار من غير كتمان
وقال له كن معه وأحسن طوية
فهذا هو المبعوث آخر أزمان
وعاد قرير العين منها لمكة
مضاعف ربح صين عن كل خسران
(إلهي روح روحه وضريحه
بعرف شذى من صلاة ورضوان)
ولما بدا كالشمس كانت خديجة
بأعلى محل مشرف بين نسوان
رأته ومعه من ملائكة السما
رسولان من وضح الشموس يظلان
لتنتشق التصديق من طيب قربه
وتعلن بالتوحيد للواحد الداني
لقد خطبت تلك التقية نفسه
إلى نفسها وقرت لها منه عينان
نفس على الأعمام في الحين أمره

الوقت (أمره) أى شأنه بسبب مادعته خديجة إلى النكاح (فقالوا رضينا حرة) أى مختارة للناس (بنت فتيان) أى أقوياء جمع فتى وهو الشاب القوى (لما قد حوت) أى جمعت (من نسبة قرشية* ومال) وافر (ودين مع جمال) وهو رقة الحسن (وأعوان) أى ولما عرضت خديجة نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على أبيها خويلد فخطبها إليه صلى الله عليه وسلم فأجاب فزوّجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر ، وقد ذكر الدولابى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم أصدق خديجه اثنى عشرة أوقية ذهباونشا ، قالوا وكانت كل أوقية إذ ذاك أربعين درهما ، والنش نصف أوقية ، وكان تزوّجه صلى الله عليه وسلم بعد قدومه من الشام بثلاثة أشهر (وقام خطيبا للمجد) صلى الله عليه وسلم أى المعظم بتعظيم الله تعالى له (عمه) أبوطالب (ومن بعد حمد الله أثنى باعلان . على القرشى الهاشمى محمد) صلى الله عليه وسلم (وقال) فى خطبته (له) صلى الله عليه وسلم (شأن سيبدو برهان) أى حجة : أى فقال أبو طالب « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسمعيل وضئضئ معدّ وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لايوزن برجل إلا رجح به وإن كان فى المال قلا فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ، فزوّجها أبوهامنه». والضئضئ: الأصل، وحضنة بيته : أى الكافلين له والقائمين بخدمته، وسواس حرمه: أى المتولين لأمره (وأولدها كل البنين) أى الأولاد (سوى الذى * باسم خليل الله سمى بإيقان) أى إن جميع أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة إلا إبراهيم فهو من مارية . وجملة أولاده صلى الله عليه وسلم سبعة ثلاثة ذكور وأربع إناث لكن واحد مختلف فيه، فالذكور القاسم وإبراهيم وهذان متفق عليهما وعبد الله وهذا مختلف فيه ويقال له الطيب والطاهر ، والقول الأثبت وجوده وسمى عند الله بالطيب والطاهر ، لأنه ولد بعد النبوّة . والإناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وهنّ متفق عليهنّ وكلهنّ أدركن الاسلام وهاجرن معه :

(إلهى روّح روحه وضريحه   بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(وحبب مولانا الخلاء) بفتح الخاء ممدودا: أى المكان الذى ليس به أحد (لقلبه) صلى الله عليه وسلم (فأم) أى فقصد (حراء) بكسر الحاء وبالمد والتذكير والصرف وهو جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى (وهو من أرض نعمان) بفتح النون، وفى الصحاح ونعمان الأراك وبفتح النون : واد بين مكة والطائف ، وفى القاموس والوادى[1] فى مكة من تنعيم اسمه نعمان وفيه أيضا ونعمان واد وراء عرفة وهو نعمان الأراك وإنما اختص صلى الله عليه وسلم بغار حراء فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع ، لأن هذا الغار له فضل زائد على غيره وهو اجتماع ثلاث عبادات الخلوة والتحنث : أى التعبد فى الليالى ذات العدد والنظر إلى البيت وهى عبارة (تعبد) أى عبد صلى الله عليه وسلم (فيه) أى حراء (كم ليال) أى كثيرا من الليالى وهو شهر كما روى عن جابر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا» (لربه) وعبادته صلى الله عليه وسلم فيه إما بالفكر أو بأىّ شريعة شاء (فوافاه) صلى الله عليه وسلم أى أتاه (جبرائيل فيه) أى فى حراء فى رمضان (بقرآن) فقال له اقرأ : أى تهيأ للقراءة ، فقال ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد ،

فقالوا رضينا حرة بنت فتيان
لما قد حوت من نسبة قرشية
ومال ودين مع جمال وأعوان
وقام خطيبا للمجد عمه
ومن بعد حمد الله أثنى باعلان
على القرشى الهاشمى محمد
وقال له شأن سيبدو برهان
وأولدها كل البنين سوى الذى
باسم خليل الله سمى بإيقان
(إلهى روّح روحه وضريحه
بعرف شذى من صلاة ورضوان)
وحبب مولانا الخلاء لقلبه
فأمّ حراء وهو من أرض نعمان
تعبد فيه كم ليال لربه
فوافاه جبرائيل فيه بقرآن

(١) قوله وفى القاموس والوادى الخ هكذا فى الأصل الذى بأيدينا والذى فى القاموس: والتنعيم موضع على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة قرب أطراف الحل إلى البيت سمى به لأن على يمينه جبل نعيم وعلى يساره جبل ناعم والوادى اسمه نعمان اهـ.

ثم قال اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغطه كذلك ثم أعاد عليه جبريل فقال له اقرأ وأعاد محمد صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بقارئ ، فقال له جبريل بعد المرة الثالثة: اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ علم الإنسان مالم يعلم ثم بعد ذلك فتر الوحى : أى تأخر نزوله ثلاث سنين ليذهب عنه ماوجده من الروع وليزيد تشوقه إلى العود ثم نزل عليه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر » إلى فاهجر فهو أول مانزل عليه بعد فترة الوحى ، وأما اقرأ باسم ربك إلى قوله مالم يعلم فهى أول مانزل مطلقا وهذا يفيد أن نبوّته صلى الله عليه وسلم متقدمة على رسالته ، وإنما اقتصر على الإنذار فى قوله تعالى «قم فأنذر» مع أنه صلى الله عليه وسلم بعث مبشرا أيضا ، لأن ذلك كان فى أول الإسلام فتعلق الانذار محقق ، فلما أطاع الناس أنزل الله تعالى «إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا»

وكان ابتداء الوحى وافى رؤية
لتمرين جثمان لوارد فرقان
وكان يقينا كلما قص رؤية
سريعا كما قد قص تأتى بتبيان
فأرسله الرحمن للخلق رحمة
رسولا مطاعا فى الوجود بسلطان
إلى دينه يدعو الأنام بأسرهم
فأدنى به قاص وأقصى به دانى

(وكان ابتداء الوحى وافى رؤية) أى كان أول مابدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح: أى مثل ضياء الصبح فى الوضوح ، فابتداء نزول جبريل عليه فى النام كان فى شهر ربيع الأول وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر (لتمرين جثمان) بضم الجيم أى جسم أى لتدريبه وتصييره عادة (لوارد فرقان) أى قرآن أى وابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا ، لأن الملك لوجاءه بغتة لم تحتمله قواه البشرية (وكان) أى الوحى الرؤيا فى النوم (يقينا) أى لاشك فيه ولايحتاج إلى تأويل (كلما) أى كل وقت (قص) أى تتبع صلى الله عليه وسلم (رؤية) منامية (سريعا) هذا حال من فاعل تأتى المستتر (كما قدقص) أى تتبع النبى الرؤيا أثرها (تأتى) أى الرؤيا له صلى الله عليه وسلم (بتبيان) أى بوضوح وانكشاف كما وقع فى اليقظة ، ولذلك عبر الناظم بالرؤية بالهاء المربوطة التى هى فى اليقظة ولم يعبر بالرؤيا بألف مقصورة التى تختص بما يقع فى النوم (فأرسله) صلى الله عليه وسلم (الرحمن للخلق) أجمعين، واللام بمعنى إلى (رحمة) للعالمين (رسولا) إلى كافة الثقلين أجمعين إرسال تكليف (مطاعا فى الوجود بسلطان) أى بحجة وبرهان ، والإرسال كان فى يوم الاثنين قيل لسبع عشرة من رمضان ، وقيل لثمان من ربيع الأول ، وقيل فى أوله ، وقيل فى رجب، وروى مسلم عن أبى قتادة «أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال: فيه ولدت وفيه أنزل علىّ القرآن » (إلى دينه) أى الرحمن (يدعو) صلى الله عليه وسلم (الأنام) أى الإنس والجن (بأسرهم) أى بجميعهم (فأدنى) أى قرب الرحمن (به) صلى الله عليه وسلم (قاص) أى بعيدا (وأقصى) أى أبعد الرحمن (به) صلى الله عليه وسلم (دان) أى قريبا فقاص ودان بحذف الياء على لغة من يحذفون الياء ولو منصوبا كما هنا ، وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس فى منازلهم يقول « إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا » وأبو لهب وراءه يقول : ياأيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم ، ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وتبعه قومه على ذلك وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون، ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه؛ وكان أول من آمن به صلى الله عليه وسلم من الرجال الأحرار أبا بكر الصديق عبد الله بن عثمان ابن قحافة، ومن الصبيان علىّ بن أبى طالب وله عشر سنين أوثمان سنين وهوالراجح وصح إسلامه لأن الأحكام كانت منوطة فى صدر الإسلام بالتمييز، ومن النساء خديجة بل هى أول من أسلم مطلقا لم يتقدمها رجل ولاامرأة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال المؤذن بن رباح . قال ابن الصلاح هذا التفصيل هو الأورع ، لكن قال السراج البلقينى: أول من آمن به من الرجال ورقة بن نوفل لنزول الوحى فى حياته على النبى صلى الله عليه وسلم وإيمانه بالنبى وتصديقه بعد رسالته بناء على أنهما متقارنان وهو الصحيح أو قبلها لعلمه من الكتب القديمة ، ومشى على ذلك جماعة

وعدّوه فى الصحابة وهو المعتمد ثم أسلم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيدالله بدعاء أبى بكر لهؤلاء الخمسة للاسلام . وأول ماوجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد بقوله تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر » فأقام صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين يدعو لله مستخفيا ثم نزل عليه الأمر بالاعلان وذلك قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » فأعلن صلى الله عليه وسلم بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن لهم فى الهجرة إلى أرض الحبشة . وفرض الله عليه وعلى أمته من قيام الليل ماذكره أول سورة المزمل بقوله « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا » ثم نسخه بما فى آخرها من قوله تعالى « فاقرءوا ماتيسر منه » وفرض الله تعالى عليه ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء ومات عمه أبو طالب فى السنة العاشرة من البعثة وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام فنالت قريش من أذى النبى صلى الله عليه وسلم مالم تنله فى حياة عمه أبى طالب هكذا ذكره المدابغى :

(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(وأسرى به) صلى الله عليه وسلم أى بجسده وروحه فى اليقظة على ظهر البراق (ربى) فى السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بسنة واحدة على الأصح ليلة سبع وعشرين من رجب على الراجح وله صلى الله عليه وسلم من العمر اثنان وخمسون سنة (من الحجر) بكسر الحاء أى حجر إسماعيل (ليلة * إلى المسجد الأقصى لرؤية حنان) معناه الرحيم، أو الذى يقبل على من أعرض عنه (كما البدر) أى القمر ليلة تمامه فما زائدة (فى داج) أى فى ظلمة هذا متعلق بسرى (من الليل) بيان لداج (قد سرى) أى البدر أو النبى صلى الله عليه وسلم وهذا أقرب أى فانه صلى الله عليه وسلم سرى فى الليل كما أن البدر كذلك ولذلك سمى صلى الله عليه وسلم طه إذ معناه الإشارى بدر فان الطاء بتسعة والهاء بخمسة (وجبريل مع) بسكون العين (ميكال معه) صلى الله عليه وسلم (يسيران) وليس يركبان معه صلى الله عليه وسلم (ومذ حلّ) أى نزل (فى البيت المقدس جمعت) بتشديد الميم (له) صلى الله عليه وسلم (الرسل)بسكون السين(والأملاك مع كل روحانى) بضم الراء : هو نسبة إلى مافيه الروح وإلى الجن والملك (وقدّمه) صلى الله عليه وسلم(جبريل) إلى المحراب (صلى) صلى الله عليه وسلم (بجمعهم * إماما وهم للحق) عز وجل، ومعناه من ثبت وجوده ثبوتا لايسع جحوده (أكثر إذعان) أى انقياد ولم يعصوه قط (وذاك) أى اقتداؤهم به صلى الله عليه وسلم (لما يدرون) أى يعلمون (من فضله) صلى الله عليه وسلم (الذى * عليهم) هذا متعلق بالفعل الذى بعده (علا) أى فاق هذا صلة الموصول (طرّا) بفتح الطاء : أى قطعا، وبضمه: أى جميعا (بمنة منان) معناه المعطى ابتداء، وفى حديث أبى سعيد «لما قضيت الصلاة قال الرسل ياجبريل من هذا الذى معك؟ قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين ، قالوا أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ وخليفة ونعم الأخ ونعم الخليفة . فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام : الحمد لله الذى اتخذنى خليلا وأعطانى ملكا عظيما وجعلنى أمّة قانتا يؤتمّ بى وأنقذنى من النار وجعلها علىّ بردا وسلاما، ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمنى تكليما واصطفانى وأنزل علىّ التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدىّ وجعل من أمتى قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ، ثم إن داود أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلمنى الزبور وألان لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن معى والطير وآتانى

(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذىّ من صـلاة ورضوان)
وأسرى به ربى من الحجر ليلة إلى المسجد الأقصى لرؤية حنان
كما البدر فى داج من الليل قد سرى وجبريل مع ميكال معه يسيران
ومذ حل فى البيت المقدس جمعت له الرسل والأملاك مع كل روحانى
وقدمه جبريل صلى بجمعهم إماما وهم للحق أكثر إذعان
وذاك لما يدرون من فضله الذى عليهم علا طرّا بمنة منان

هنالك للمعراج بادر مسرعا ليرقى إلى السبع الطباق بجثمان

وجاوزهن الكل والروح خادم لحضرته العليا بمشهد عرفان

إلى أن دنا من قاب قوسين إذ دنا وشاهد ذات الله رؤية أعيان

الحكمة وفصل الخطاب ، ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون لى ماشئت من محاريب وتماثيل وعلمنى منطق الطير وآتانى من كل شئ فضلا ، وسخر لى جنود الشياطين والإنس والجن والطير وآتانى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى وجعل لى ملكا طيبا ليس على فيه حساب ، ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعلنى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلنى أخلق أى أصور من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وجعلنى أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعنى وطهرنى وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل . وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربى فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على القرآن فيه تبيان كل شئ وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتى أمة وسطا وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما ، فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمد» (هنالك) أى فى المسجد الأقصى (للمعراج) متعلق بيادر (بادر) صلى الله عليه وسلم (مسرعا) حال مؤكد لعامله والناصب للمعراج جبريل أتى به من الجنة وهوسلم له عشر مراق واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأحد جانبيه من ياقوتة حمراء والآخر من ياقوتة بيضاء وهو مكلل باللؤلؤ وغيره من معادن الجنة ونصبه جبريل فجعل أسفله على صخرة بيت القدس وأعلاه إلى العرش بين كل مرقاة والأخرى مابين السماء والأرض والمرقاة السفلى منه كان محلها عند السماء الدنيا والثانية عند الثانية وهكذا فللسموات سبع مراق والثامنة للسدرة والتاسعة للكرسى والعاشرة إلى العرش ، فلما هم صلى الله عليه وسلم بالصعود نزلت التى عند السماء الدنيا فركبها وصعدت به إلى السماء الدنيا ، فلما وصلها نزلت التى عند السماء الثانية فركبها وصعدت به إلى السماء الثالثة ثم نزلت التى عند الثالثة وهكذا ، والمرقاة هى الدرجة كذا ذكره الشيخ الجمل فى الفتوحات الإلهية (ليرقى) أى ليصعد صلى الله عليه وسلم (إلى السبع) أى سبع سموات (الطباق) صفة أى بعضها فوق بعض : الأولى من موج مكفوف ، والثانية من مرمرة بيضاء ، والثالثة من حديد ، والرابعة من صفر . أى نحاس أصفر ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب ، والسابعة من ياقوتة حمراء . هكذا فى الفتوحات الإلهية (بجثمان) بضم الجيم : أى بجسده صلى الله عليه وسلم (وجاوزهن الكل) ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى المستوى الذى سمع فيه صريف الأقلام فى تصاريف الأقدار ، ثم إلى العرش، ثم إلى غير ذلك مما لم يصل إليه ملك مقرب ولا نبى مرسل. ورأى آدم فى السماء الأولى ويحيى وعيسى فى الثانية ويوسف فى الثالثة وإدريس فى الرابعة وهرون فى الخامسة وموسى فى السادسة وإبراهيم فى السابعة ، وفرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس (والروح) أى روح القدس وهو جبريل عليه السلام (خادم لحضرته) صلى الله عليه وسلم (العليا) بضم العين وبالقصر كما فى المصباح (بمشهد عرفان . إلى أن دنا) صلى الله عليه وسلم (من قاب قوسين) وقاب القوس : مابين مقبضه وآخره ، فلكل قوس قابان ، والمراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوى من ربه بقرب قاب القوس إذا ألصق بقاب قوس آخر ، ثم رأيت بعضهم قال قاب قوسين : أى مقدار قوسين، وقاب قوس : أى مقدار قوس : أى قدر طولها هكذا قاله ابن حجر فى شرح الهمزية (إذ دنا) أى قرب صلى الله عليه وسلم من ربه (وشاهد) صلى الله عليه وسلم (ذات الله رؤية أعيان) مما يليق بجنابه سبحانه وتعالى وأوحى الله إليه ما أوحى وسمع كلامه ، والموحى به إما الصلوات الخمس أو غيرها مما وقع فى تلك

الحضرة . قال سعيد بن جبير : أوحى إليه « ألم يجدك يتيما فآوى » إلى قوله «ورفعنا لك ذكرك»
وقيل أوحى إليه: إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ، ثم
عاد صلى الله عليه وسلم من ليلته إلى مكة ومكانه لم يبرد وأخبر قريشا بذلك الإسراء (وصدّقه) أى
فى الاسراء (الصدّيق) أبو بكر رضى الله عنه والمؤمنون (فى صبح يومه) أى ليلة الإسراء (وكابر)
أى عاند (من أغوى بفتنة شيطان) أى وكذبه من قريش المشركون وارتدّ جماعة ممن كان أسلم
وسأله المشركون عن صفات بيت المقدس فجلاه الله له وأخبرهم بما سألوه عنه وسألوه أمارة فأخبرهم
بالعير وأنهم يقدمون يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب ،
فدعا الله تعالى فحبس الشمس ، وكان كما وصف صلى الله عليه وسلم ثم أذن صلى الله عليه وسلم لأصحابه
فى الهجرة إلى المدينة بعد قدوم من أسلم على يديه من الأنصار ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أتى
فى منى لما كان يعرض نفسه فى الموسم على قبائل العرب ستة من الأنصار وكلهم من الخزرج فآمنوا
به عند عقبة منى ، وقال لهم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فواعدوه الموسم القابل فجاء منهم
اثنا عشر فأسلموا وبايعوه على الإيواء والنصرة ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام ثم قدم عليه
منهم فى العقبة الثالثة العام المقبل سبعون فأسلموا وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم
وأولادهم وعلى حرب العرب والعجم ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا ، ولما أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه
بالهجرة إلى طيبة أقام صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر إذن الله تعالى له فى الهجرة فأذن له فيما عقب
بيعة العقبة الثالثة هلال ربيع الأول وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر معه فخرجا من مكة يوم
الخميس وبقيا فى غار ثور بأسفل مكة وأمر الله العنكبوت أن تنسج على بابه وأمر حمامتين وحشيتين
فعششتا هناك ثم خرجا من الغار فى أثناء ليلة الاثنين والنبى صلى الله عليه وسلم على ناقته الجدعاء
بالدال المهملة وهى المقطوعة الأنف أو مقطوعة الأذن كلها فتعرض لهما بقديد سراقة بن مالك
فدعا النبى صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم اكفناه بما شئت » فغاصت قوائم فرسه فى الأرض حتى
بلغته إلى الركبتين فطلب الأمان فأطلق ووقع منه ثلاث مرات ، وقيل سبع مرات وأسلم سراقة
بعد ذلك ، وقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ومعه أبو بكر يوم الاثنين نصف النهار الثانى عشر
من ربيع الأوّل وله صلى الله عليه وسلم من العمر ثلاث وخمسون سنة فأقام بقباء موضع بالمدينة
فى بنى عمرو بن عوف على فرسخ من المسجد النبوى أربعة أيام : يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء
والخميس ، ثم خرج من قباء ضحى يوم الجمعة ، فأدركته صلاة الجمعة فى الطريق فصلاها فى بنى سالم
ابن عوف فى المسجد الذى فى بطن الوادى بمن كان معه من المسلمين وهم مائة فكانت هذه الجمعة
أول جمعة صلاها بالمدينة ، ثم توجه بعد صلاة الجمعة على راحلته وأرخى زمام ناقته فتلقاه جماعة
من أهل دور الأنصار يكلمونه فى النزول عليهم ويأخذون بخطام ناقته ويقولون يارسول الله هلمّ
إلينا فيقول لهم خلوا سبيلها أى ناقته فإنها مأمورة : أى من قبل الله تعالى بأن تبرك بمحل سخرها
الله لأن تبرك فيه فخلوا سبيلها فسارت تنظر يمينا وشمالا إلى أن بركت بمحل باب المسجد وهو
صلى الله عليه وسلم راكب عليها لم ينزل ثم وثبت به ثم سارت ومشت غير بعيد ورسول الله صلى الله
عليه وسلم واضع لها زمامها لايثنيها : أى لايحركها به إلى أن بركت بباب أبى أيوب خالد بن زيد
ابن كليب الأنصارى من بنى مالك بن النجار من كبار الصحابة شهد بدرا أو المشاهد كلها ثم قامت
ومشت والتفتت خلفها ثم رجعت إلى مبركها أول مرة بمحل باب المسجد وبركت فيه ثم تجلجلت

وصدّقه الصدّيق فى صبح
يومه
وكابر من أغوى بفتنة
شيطان

بجيمين : أى تحركت وألقت عنقها بالأرض وصوتت من غير أن تفتح فاها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « هذا المنزل إن شاء الله : اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أربع مرات » واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى رحله بإذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ونزل عليه صلى الله عليه وسلم لكونه من أخوال عبد المطلب وأراده قوم فى النزول عليهم وقال المرء مع رحله فأقام صلى الله عليه وسلم عند أبى أيوب سبعة أشهر حتى بنى مسجده ومساكنه واشترى محل مسجده وهو يومئذ مربد : أى محل يجفف فيه التمر بعشرة دنانير أداها عنه أبو بكر رضى الله عنه من ماله ثم بناه باللبن وسقفه بالجريد وجعل عمده من خشب النخل ، وكان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن معهم فى ثيابه ، وفى رواية فى ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول :

هذا الحمال لاحمال خيبر هــذا أبر ربنا وأطهر

أى هــذا المحمول من الطين أبرّ وأطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب وجعل قبلته لبيت المقدس إلى أن حوّلت فى السنة الثانية وجعل طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع وعرضه نحو ذلك : أى أقل من مائة فهو مربع ، وقيل إنه غير مربع وبنى مساكنه أى حجرتين لعائشة وسودة رضى الله عنهما إلى جنبه باللبن ثم تحول إليهما من دار أبى أيوب وكانت أول كلمة سمعت منه لما قدم المدينة الأمينة «أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» هكذا فى مولد المدابغى :

(إلهى روّح روحــه وضريحه بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(وكان رسول الله) صلى الله عليه وسلم (أكمل خلقه) تعالى (بخلق) بفتح الخاء أى خلقة وشكلا (وخلق) بضم الخاء وسكون اللام للوزن : أى طبيعة ، فهو صلى الله عليه وسلم أكمل الناس خلقا وأحسنهم خلقا وهو قمر الحسن وبدر التمام . وحكى القرطبى عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم (سيد الإنس والجان) أى وغيرهما (له) صلى الله عليه وسلم (قامة مربوعة) لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ، بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو عليه الصلاة والسلام إلى الربعة ويقول صلى الله عليه وسلم «جعل الخير كله فى الربعة » أفاده الغزالى (أبيض السنا) بالقصر أى واضح الضوء (أغرّ) أى أبيض : أى كان صلى الله عليه وسلم أزهر اللون : أى أبيض بياضا نيرا مشربا بالحمرة (كحيل الطرف) أى أسود أجفانه خلقة ، ومع ذلك كان يكتحل صلى الله عليه وسلم كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يكتحل قبل أن ينام بالإثمد ثلاثا فى كل عين » وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالإثمد عند النوم فانه يجلو البصر وينبت الشعر » (أغرّ أوجان) والوجنة : ما ارتفع من لحم الخد : أى كان نور وجنته صلى الله عليه وسلم أحمر كالبدر ، وفى حديث ابن أبى هالة « يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر » ، وذلك لأن القمر يملأ الأرض بنوره ويؤنس كل من شاهده وهو يجمع النور من غير أذى ويتمكن من النظر إليه بخلاف الشمس التى تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية والتشبيه بالبدر أبلغ فى العرف من التشبيه بالقمر لأنه وقت كماله كذا فى المواهب ، وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم

(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)
وكان رسول الله أكمل خلقه
بخلق وخلق سيد الإنس والجان
له قامة مربوعة أبيض السنا
أغرّ كحيل الطرف أغرّ أو جان

لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر ، وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

(وواسع عين) أى كانت عيناه نجلاوين حسنهما أدعجهما ، وكان فى عينيه تمزج من حمرة : أى فى بياضهما ، والأدعج شديد سواد الحدقة (بل وأهدب شفرها) أى طويل هدب شفر العين حتى يكاد يلتبس من كثرته ، والشفر : هو حرف الجفن الذى ينبت عليه الشعر (وواسع فم) وعن جابر ابن سمرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم » وزاد ابن أبى هالة « يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه » (بل وأفلج أسنان) أى متفرقها «وكان إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ» وعن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه» رواه الترمذى ، وظاهر هذا الحديث اختصاص التفلج بالثنايا فقط وقد صرح جمع بأن تباعد مابين الأسنان كلها عيب (بجبهته) صلى الله عليه وسلم (بدر الكمال متمم) أى نور جبهته صلى الله عليه وسلم كامل تام كتمام البدر ليلة أربعة عشر (وشمس الضحى والفجر لاحا يضيئان) وعن أبى هريرة قال « مارأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه » رواه الترمذى والبيهقى وأحمد وابن حبان . قال الطيبى : شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم ، قال ويحتمل أن يكون من تناهى التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس (بأحسن عرنين) وكان صلى الله عليه وسلم دقيق العرنين أى الأنف أى أعلاه (وأقناه) أى طويل العرنين (قد سما) أى ارتفع وله نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم وهو فى الحقيقة غير أشم ، والشمم : هو ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاه (حوى منكباه) صلى الله عليه وسلم (الوسع) أى أن أعلى ظهره صلى الله عليه وسلم عريض ، ويلزم من ذلك عرض الصدر كما جاء فى رواية رحب الصدر وذلك آية النجابة فهو مما يمدح به فى الرجال (خداه) صلى الله عليه وسلم (سهلان) أى سائلان : أى غير مرتفع الوجنتين وذلك أعلى وأحلى عند العرب (له) صلى الله عليه وسلم (زجج) أى تقوس مع طول (فى الحاجبين) وهما سابغان : أى وافر شعرهما ، وكان صلى الله عليه وسلم أبلج مابين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة كذا فى الإحياء (وأنفه) صلى الله عليه وسلم (به) أى الأنف أى فى وسطه (بعض الاحديداب) أى الارتفاع وهو وصف مدح (عدل) أى مستوى الأنف (كمران) بضم الميم أى كرماح (وضخم كراديس) أى عظيم رءوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وذلك يستلزم كمال القوى الباطنية (كذا كث لحية) أى كثير الشعر النابت على الذقن كذا فى رواية ، وفى أخرى كثيف اللحية ، وفى أخرى عظيم اللحية ، وعلى كل فالمعنى أن لحيته صلى الله عليه وسلم كانت عظيمة أفاده الباجورى (وكفاه) صلى الله عليه وسلم (بالاحسان) أى إيتاء الحسنة (والجود بسطان) بتقديم الباء على السين : أى ممدودتان ، أو عكسه : أى سخيتان ، وكان صلى الله عليه وسلم رحب الراحة : أى واسع الكف ، وهو دليل الجود وصغره دليل البخل أفاده الباجوى ، وكان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم ، وكان فى شهر رمضان كالريح المرسلة لايمسك شيئا (وكان) صلى الله عليه وسلم (عظيم الرأس) كما فى الحديث إنه عظيم الهامة ، وعظم الرأس ممدوح لأنه أعون على الادراكات والكمالات (صلتا) أى واضحا و(جبينه) وهو ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ وعند البيهقى عن رجل من الصحابة قال « رأيت

وواسع عين بل وأهدب شفرها
وواسع فم بل وأفلج أسنان
بجبهته بدر الكمال متمم
وشمس الضحى والفجر لاحا يضيئان
بأحسن عرنين وأقناه قد سما
حوى منكباه الوسع خداه سهلان
له زجج فى الحاجبين وأنفه
به بعض الاحديداب عدل كمران
وضخم كراديس كذا كث لحية
وكفاه بالإحسان والجود بسطان
وكان عظيم الرأس صلتا جبينه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين» (وذا شعر حاذى لشحمة آذان) وقيل كان شعره يضرب منكبيه ، وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه وربما جعله غدائر أربعا تخرج كل أذن من بين غديرتين ، وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ كذا فى الإحياء . قال الحافظ العراقى : وكان صلى الله عليه وسلم لا يحلق رأسه إلا لأجل النسك وربما قصر :

(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذى من صلاة ورضوان)

(وخاتمه) صلى الله عليه وسلم بفتح التاء (ينبى) أى يخبر (بختم نبوة * وما بين كتفيه استقر بإيقان) وفى الإحياء وهو مما يلى منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس، وفى الروض أنه كأثر المحجمة القابضة على اللحم ، وفى تاريخ ابن أبى خيثمة أنه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متراكبات كأنها عرف الفرس ، وفى الشمائل أنه بضعة ناشزة: أى قطعة لحم مرتفعة على الجسد ، وفى مسلم أنه كبيضة الحمام ، وفيه أيضا أنه جمع عليه خيلان كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه . قوله جمع بضم الجيم وإسكان الميم : أى كجمع الكف: وهو صورته بعد جمع الأصابع . وقوله خيلان بكسر الخاء المعجمة وإسكان التحتية جمع خال: وهو الشامة على الجسد . قوله الثآليل جمع ثؤلول: وهو خراج صغير يظهر على الجسد له نتوء واستدارة. وقوله نغض بالنون والغين والضاد المعجمة: وهو أعلى الكتف ، وقال السهيلى والصحيح أن خاتم النبوّة كان عند نغض كتفه الأيسر (له) صلى الله عليه وسلم (عرق) فى وجهه بفتح الراء (كاللؤلؤ الرطب) أى الناعم فى الصفاء والبياض (عرفه) بسكون الراء أى رائحة عرقه (يفوق فتيت المسك) الأذفر(فى كل أحيان. ومشيته) بكسر الميم: أى هيئة مشيه صلى الله عليه وسلم (الحسناء) بفتح الحاء وبالمد (كانت تكفؤا) أى ميلا إلى سنن الشى (كذا صبب) أى حدور بفتح الحاء المهملة: وهو المكان المنحدر (ينحط) أى ينزل صلى الله عليه وسلم (منه) أى الصبب (لقيعان) جمع قاع : أى مستوى من الأرض ، وقال على رضى الله عنه «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تقلع» أى ارتفع من الأرض بجملته كحال المنحط فى الصبب وهى مشية أولى العزم والهمة والشجاعة وهى أعدل المشيات وأروحها للأعضاء ، فكثير من الناس يمشى قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة فهى مذمومة ويمشى بانزعاج مشى الجمل الأهوج وهذه علامة خفة عقل صاحبها ولا سيما أن أكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا ، وفى الإحياء «كان صلى الله عليه وسلم يمشى كأنما يتقلع من صخر ويتحدر من صبب يخطو تكفؤا ويمشى الهوينا بغير تبختر» والهوينا تقارب الخطا ، والتقلع أن يمشى بقوة بأن يرفع رجليه من الأرض بقوة لا كمن يختال فان ذلك شأن النساء (وكان حبيب الله خيرة خلقه) سبحانه وتعالى (يصافح من يلقاه) صلى الله عليه وسلم (من كل أخدان) أى أصدقاء (مصافحة فى سائر اليوم) أى فى باقيه الجار والمجرور متعلق بما بعده (لم تزل) أى المصافحة (معبقة) أى ظاهرة الرائحة الطيبة (منه) صلى الله عليه وسلم (برياء) أى رائحته الطيبة (كفان) نائب الفاعل لمعبقة (صبى إذا ما) ماهذه زائدة (مس) أى الصبى : أى رأسه بالبناء للمفعول : أى إذا مس النبى الصبى أى رأسه (بعرف مسه) صلى الله عليه وسلم(ويدرى بعرف الطيب) أى بريحه على رأسه (من بين صبيان) بضم الصاد وكسرها وهو جمع صبى .

﴿تنبيه﴾ قوله صبى يجب رفعه على الابتداء ، لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها لأن لها صدر

وذا شعر حاذى لشحمة آذان
(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذى من صلاة ورضوان)
وخاتمه ينبى بختم نبوّة وما بين كتفيه استقر بإيقان
له عرق كاللؤلؤ الرطب عرفه يفوق فتيت المسك فى كل أحيان
ومشيته الحسناء كانت تكفؤا كذا صبب ينحط منه لقيعان
وكان حبيب الله خيرة خلقه يصافح من يلقاه من كل أخدان
مصافحة فى سائر اليوم لم تزل معبقة منه برياه كفان
صبى إذا ما مس بعرف مسه ويدرى بعرف الطيب من بين صبيان

السكلام فكل ماله صدر السكلام لايعمل مابعده فيما قبله وما لايعمل لايفسر عاملا ، لأن المفسر في باب الاشتغال بدل من اللفظ بالمفسر . قال ابن مالك في الألفية :

كذا إذا الفعل تلا مالم يرد ماقبل معمولا لما بعد وجد

أي كذلك التزم رفع الاسم السابق إذا أتبع الفعل شيئا لا يرد ماقبله معمولا لمابعده كأدوات الشرط والاستفهام والتحضيض ولام الابتداء وما النافية وكم الخبرية والحروف الناسخة والموصول والموصوف تقول زيد إن زرته يكرمك وهل رأيته وهلا كلمته وزيد لأنا ضاربه وزيد ماضربته وزيد كم ضربته وزيد إني ضربته وزيد الذي ضربته وزيد رجل ضربته بالرفع في ذلك ولا يجوز النصب ، لأن هذه الأشياء لايعمل مابعدها فيما قبلها فلا يفسر عاملا لأن مابعدها من العامل المذكور بدل من اللفظ بالعامل المحذوف وشأن البدل موافقة المبدل منه فلا بد من جواز عمل المذكور فيما قبله كالمحذوف (كما البدر) فما زائدة (في تم) أي كماله (تلألأ) أي لمع وأضاء كاللؤلؤ (وجهه) صلى الله عليه وسلم وقال هند بن أبي هالة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر » قوله فخما : أي عظيما في نفسه . وقوله مفخما : أي معظما في صدور الصدور وعين العيون لايستطيع مكابر أن لايعظمه وإن حرص على ترك تعظيمه أفاده الباجوري (وما البدر إلا منه) صلى الله عليه وسلم (يزهو) أي يظهر صفرته (بلمعان) أي بإضاءة، والبدر هو ليلة أربعة عشر وإنما سمي القمر فيها بدرا ، لأنه يبدر بالطلوع فيسبق طلوعه مغيب الشمس (وقد قال) قولا (حقا فيه) أي في حقه صلى الله عليه وسلم (ناعت وصفه) أي واصف صفته صلى الله عليه وسلم بالجميل على سبيل الإجمال لعجزه عن أن يصفه وصفا تاما بالغا على سبيل التفصيل (شبيها له) صلى الله عليه وسلم (ما أبصرت قط) بضم الطاء مشددة : أي فيما مضى من الزمان (عينان * ولا شاهد الأملاك والجن مثله) أي من يساويه صلى الله عليه وسلم (ولا بشر في الخلق) أي الصورة (والخلق) أي السجية (والشان) أي السيرة (وما أدركوا) أي الواصفون (والله غير خياله) صلى الله عليه وسلم والخيال بفتح الخاء : صورة مثال الإنسان في الماء والمرآة وهو الشيء الذي يشبه الظل قال الأبوصيري في الهمزية من بحر الخفيف :

إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجوم الماء

والمعنى مامثل الواصفون صفات رسول الله المحسوسة كالبياض والمعقولة كالعلم للانس والجن إلا تمثيلا مثل صور النجوم التي ترى في الماء دون حقيقتها وشتان مابينهما (وربك أدرى) أي أعلم (بالحقيقة) أي حقيقته صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا (لاثاني) لأنه تعالى قد أحاط بكل شيء علما :

(إلهي روّح روحه وضريحه بعرف شذى من صلاة ورضوان)

(وقد كان مولانا) صلى الله عليه وسلم (كثير تواضع) كان صلى الله عليه وسلم أشدّ الناس تواضعا في علوّ منصبه، وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة ، وكان مع ذلك يستردف (شديد حياء) لايثبت بصره في وجه أحد . وعن أبي سعيد الخدري قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه » رواه الترمذي، فكان بغاية حيائه لايصرح بكراهة لشيء من الأشياء بل إنما يعرف في وجهه وكذلك العذراء في خدرها لاتصرح بكراهة الشيء بل يعرف في وجهها غالبا ، ولشدة حيائه صلى الله عليه وسلم كان يغتسل من وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط ، وروى ابن الجوزي عن أم سلمة أنه صلى الله عليه وسلم :

كما البدر في تم تلألأ وجهه
وما البدر إلا منه يزهو بلمعان
وقد قال حقا فيه ناعت وصفه
شبيها له ما أبصرت قط عينان
ولا شاهد الأملاك والجن مثله
ولا بشر في الخلق والخلق والشان
وما أدركوا والله غير خياله
وربك أدرى بالحقيقة لاثاني
(إلهي روّح روحه وضريحه
بعرف شذى من صلاة ورضوان)
وقد كان مولانا كثير تواضع

كان إذا أتى امرأة من نسائه غضّ عينه وقنع رأسه وقال للتى تحته عليك بالسكينة والوقار . واعلم أن الحياء محمود إذا لم ينته إلى ضعف أو جبن أو خروج عن حق أو ترك إقامة الحد وإلا كان مذموما كما أفاده الباجورى (راقعا خرق) بضم الخاء وسكون الراء وهو اسم مصدر: بمعنى مخروق (قمصان) بضم القاف جمع قميص ولا يكون إلا من القطن (ويخصف) أى يخرز (نعليه) بنفسه الكريمة (ويحلب) بضم اللام (شاته) أى يخرج مافى ضرعها من اللبن (ويخدم) بكسر الدال وضمها (أهليه) أى أزواجه وبناته فى مهنتهن ويقطع اللحم معهن (برفق وإحسان) أى إحكام (يحب) صلى الله عليه وسلم (مساكينا) يؤاكل المساكين ويجالس الفقراء (يعود) أى يزور (مريضهم) المسلم برا كان أو فاجرا (يشيع) أى يتبع (موتاهم) أى يخرج مع الموتى إلى القبور (يوارى) أى يسترهم (بأكفان . وليس) صلى الله عليه وسلم (لمن أشواه) أى أضره (فقر وفاقة) أى حاجة (يحقر) صلى الله عليه وسلم ولا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته (بل يبدو) أى يظهر (له) أى لذلك الشخص (منه) صلى الله عليه وسلم (بشران) بكسر الباء أى طلاقة الوجه (ويقبل ذا عذر) أى يقبل صلى الله عليه وسلم معذرة المتعذر إليه ، وكان صلى الله عليه وسلم فى حرب فرأوا فى المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك منى؟ فقال الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمنعك منى ؟ فقال كن خير آخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فقال لا إلا أنى لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس (يماشى) صلى الله عليه وسلم (أراملا) جمع أرملة وهى المرأة التى لا زوج لها، من أرمل الرجل : أى تعذر زاده وافتقر وتسمى تلك المرأة أرملة لافتقارها إلى من ينفق عليها . قال ابن السكيت: والأرامل المساكين رجالا كانوا أو نساء (يواسيهم) بضم الميم مع الإشباع : أى يعينهم: أى يعطيهم (برا) أى صلة واتساعا فى العطاء (يماشى) صلى الله عليه وسلم (لعبدان) بكسر العين وضمها جمع عبد : أى يمشى صلى الله عليه وسلم معهم لقضاء حاجتهم التى قصدوه فيها . قال الغزالى فى الإحياء: وما كان يأتيه صلى الله عليه وسلم أحد حر أو عبد وأمة إلا قام معه فى حاجته (لقد ملئت منه) صلى الله عليه وسلم (الملوك) أى السلاطين (مهابة) أى مخافة (وماهابهم) أى الملوك الملكهم (بل لم يخف) صلى الله عليه وسلم (بأس سلطان) أى عذابه وشدته فى الحرب يدعو صلى الله عليه وسلم هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة (ويغضب) صلى الله عليه وسلم (لله الكريم) ولا يغضب لنفسه ولا يقول فى الرضا والغضب إلا الحق ، وكان رسول الله رقيق البشرة لطف الظاهر والباطن يعرف فى وجهه غضبه ورضاه ، وكان إذا اشتدّ وجهه : أى غضبه أكثر من مس لحيته الكريمة ، وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه (ويرتضى) أى يختار صلى الله عليه وسلم (لما يرتضيه) أى مايختاره الله وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه (زاجرا) أى مانعا (أهل عصيان) من المعاصى ويعرض عن تكلم بغير جميل ولا يقول للمنكر (ويمشى) صلى الله عليه وسلم (وراء الصحب) لينظر فى أحوالهم فيسوسهم ويؤدبهم ويهديهم لما فيه صلاحهم ورشادهم وهو معنى قول القائل : وكان يسوق أصحابه ويماشيهم فرادى وجماعة (فى السر قائلا ٭ دعوا الظهر للأملاك مع كل روحانى) هذا نسبة إلى الملك . قال ابن حجر فى شرح الهمزية : وكان صلى الله عليه وسلم إذا مشى معه أصحابه قدمهم أمامه ، وقال خلوا ظهرى للملائكة ، وكان

شديد حياء راقعا خرق قمصان
ويخصف نعليه ويحلب شاته
ويخدم أهليه برفق وإحسان
يحب مساكينا يعود مريضهم
يشيع موتاهم يوارى بأكفان
وليس لمن أشواه فقر وفاقة
يحقر بل يبدو له منه بشران
ويقبل ذا عذر يماشى أراملا
يواسيهم برا يماشى لعبدان
لقد ملئت منه الملوك مهابة
وما هابهم بل لم يخف بأس سلطان
ويغضب لله الكريم ويرتضى
لما يرتضيه زاجرا أهل عصيان
ويمشى وراء الصحب فى السر قائلا
دعوا الظهر للأملاك مع كل روحانى

إذا مشى فى فىء قمر أوشمس لايظهرله ظل وسره قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه «واجعلنى نورا» (وقد ركب الهادى) إلى طريق حق صلى الله عليه وسلم ما أمكنه (بعيراو) مرة (بغلة) شهباء (كذا فرس) مرة (إذكان) صلى الله عليه وسلم (سيدفرسان) بكسر الفاء وضمها جمع فارس والفارس: هو الراكب على الحافر فرسا كان أو بغلا أو حمارا قاله ابن السكيت (كذاك حمار) مرة (قدأتاه) صلى الله عليه وسلم (هدية * وبعض ملوك الوقت أهداه والآن) عطف تفسير أومرادف ومرة يمشى صلى الله عليه وسلم راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة كذا فى الإحياء .

(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(ولم تشك جوعا منه) صلى الله عليه وسلم، هذا متعلق بما بعده (نفس أبية) أى ممتنعة مما يستحى به (ولا عطشا) حال كونه صلى الله عليه وسلم (كهلا) أى كبيرا (وراضع ألبان . وكان) صلى الله عليه وسلم (كثيرا) أى فى المرات الكثيرة (ماءزمزم) منصوب بنزع الخافض أى بماء زمزم (يغتذى) أى يشبع ويكتفى عن الطعام والشراب بشربه بنية الشبع والاستغناء به عن الطعام (إذا ما) مازائدة (غذى) بذال معجمة: أى شبع ورى بماء زمزم (يكفيه) صلى الله عليه وسلم (فى كل أحيان) ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم «ماء زمزم لما شرب له» قالت أم أيمن «مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكى جوعا ولاعطشا قط فى صغره ولا فى كبره وكان يغدو أى يذهب إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضت عليه الغداء فيقول أنا شبعان» وقال فى الإحياء : وكان صلى الله عليه وسلم يأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولا يتورع من مطعم حلال وإن وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله، منديله باطن قدميه، لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى إيثارا على نفسه لافقرا ولا بخلا (ويعصب) صلى الله عليه وسلم : أى يشد (أحجارا على البطن طاويا) أى جائعا زهدا لاعجزا، وإنما فعل صلى الله عليه وسلم هذا ليسكن بعض ألم الجوع لأن المعدة إذا امتلأت من الطعام اشتغلت الحرارة بهضمه فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات الجسم فيتألم الإنسان بتلك الحرارة فالشد يقلل الألم (ولو شاء) صلى الله عليه وسلم (غذي) بالبناء للمجهول وتشديد الذال وسكون الياء للوزن: أى أشبع واكتفى (من جنان بألوان) من الأطعمة ، وقوله بألوان متعلق بغذى وقوله جنان متعلق بمحذوف حال من ألوان ، لأن نعت النكرة إذا قدم عليها صار حالا أو متعلق بغذى أيضا ، وأخرج الترمذى من حديث أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عرض علىّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لايارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك» وعن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا لايجدون عشاء وإنما كان خبزهم الشعير» رواه الترمذى ، وعن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم « إن أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غدا فى الآخرة » رواه الطبرانى ، وعن سلمان وأبى جحيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة » (وقد سلم المولى) سبحانه وتعالى (مفاتيح أرضه * لحضرة خير الخلق سيدخزان) جمع خازن : أى حافظ وذكر الشيخ بدرالدين الزركشى عن بعض الفقهاء المتأخرين أنه كان يقول: لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير، بل كان أغنى الناس بالله قد كفى أمر دنياه

وقد ركب الهادى بعيرا وبغلة
كذا فرس إذ كان سيد فرسان
كذاك حمار قدأتاه هدية
وبعض ملوك الوقت أهداه والآن
(إلهى روّح روحه وضريحه
بعرف شذى من صلاة ورضوان)
ولم تشك جوعا منه نفس أبية
لاعطشا كهلا وراضع ألبان
وكان كثيرا ماء زمزم يغتذى
إذا ماغذى يكفيه فى كل أحيان
ويعصب أحجارا على البطن طاويا
ولو شاء غذى من جنان بألوان
وقد سلم المولى مفاتيح أرضه
لحضرة خير الخلق سيد خزان

فى نفسه وعياله ، وكان يقول فى قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم أحينى مسكينا » إن المراد به استكانة القلب لا المسكنة التى هى أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته ، وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى ، وأما ما يروى أنه عليه الصلاة والسلام قال « الفقر فخرى وبه أفتخر » فقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر هو باطل موضوع كذا فى المواهب ، وعن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل والذى بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق ، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم ؟ قال لا ولكن الله أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك فأتاه إسرافيل فقال إن الله سمع ما ذكرت فبعثنى إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرنى أن أعرض عليك أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فإن رضيت فعلت فإن شئت نبيا ملكا وإن شئت نبيا عبدا فأومأ إليه جبريل أن تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا » رواه الطبرانى ، فانظر إلى همته العلية كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأباها ومعلوم أنه لو أخذها لأنفقها فى طاعة ربه فأبى ذلك واختار العبودية المحضة ، فيا لها من همة شريفة رفيعة ما أسناها ونفس زكية كريمة ما أبهاها أفاد ذلك القسطلانى فى المواهب (وشمّ جبال) والشم بالضم جمع أشم وهو اسم فاعل كصم جمع أصم وهو من إضافة الصفة للموصوف : أى جبال مكة المرتفعة (راودته) أى طلبت منه صلى الله عليه وسلم (بأنها تكون له) صلى الله عليه وسلم (تبرا) بكسر التاء : أى ذهبا وفضة كذا فى القاموس (فلم يرد الفانى) وروى « أن جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن تكون لك هذه الجبال ذهبا وفضة تكون معك حيثما كنت؟ فأطرق صلى الله عليه وسلم ساعة ، ثم قال ياجبريل : إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له ، فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت » (وكان) صلى الله عليه وسلم (يقلّ اللغو) أى الكلام المتعلق بالدنيا (يبدأ) صلى الله عليه وسلم (من لقى * بخير تحيات) وهو السلام والمصافحة والبشر والتبسم (يحيى) صلى الله عليه وسلم (بإعلان) أى بإظهار كقوله صلى الله عليه وسلم « أفشوا السلام » أى أظهروه (يطيل صلاة) مما يطلب فيها التطويل كالجمعة والظهر والصبح ويطيل صلاة تهجد (خطبة جمعة * يقصرها لكن بأكمل أركان . يؤلف للأشراف) أى يؤنسهم بالبر لهم (يكرم فاضلا) فى الأخلاق ويصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم (ويمزح) صلى الله عليه وسلم مزحا (حقا) أى مطابقا للواقع (مع نساء وغلمان) جمع غلام وهو الابن الصغير ، وعن الحسن قال ناقلا عن غيره « أتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة ، فقال يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكى فقال أخبروها بأنها لا تدخلها وهى عجوز ، إن الله تعالى يقول : إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا » وعن أنس بن مالك قال : « إن كان النبى صلى الله عليه وسلم ليخالطنا : أى يمازحنا حتى يقول لأخ لى صغير يا أبا عمير ما فعل النغير » بالتصغير فيهما ، وإنما قال له النبى صلى الله عليه وسلم « يا أبا عمير ما فعل النغير » لأنه كان له نغير يلعب به فمات فحزن الغلام عليه فمازحه النبى صلى الله عليه وسلم فقال « يا أبا عمير ما فعل النغير » وعن أبى هريرة قال « قالوا يارسول الله إنك تداعبنا قال إنى لا أقول إلا حقا » روى ذلك كله الترمذى (يقول) صلى الله عليه وسلم (بما يرضى الإله) سبحانه وتعالى (مقاله) قال الغزالى فى الإحياء : فإن وعظ وعظ

وشم جبال راودته بأنها
تكون له تبرا فلم يرد الفانى
وكان يقل اللغو يبدأ من لقى
بخير تحيات يحيى بإعلان
يطيل صلاة خطبة جمعة
يقصرها لكن بأكمل أركان
يؤلف للأشراف يكرم فاضلا
ويمزح حقا مع نساء وغلمان
يقول بما يرضى الإله مقاله

فداه فؤادى بل وروحى وإنسانى
هو الشمس فى حسن هو البدر رونقا
محياه فاق النيرين بحسبان
(إلهى روّح روحه وضريحه بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)
ألا اخبرا عنى أهيل مودتى بأنى به فان إلى يوم أكفانى
أرى حبه دينى ورشدى وملنى
وتعداد ماقد حاز فى الحسن أعيانى
أهيم به فى كل وقت وساعة وأهلى جميعا ثم صحبى وإخوانى
هواه أنيسى فى الجنادل حبه
لطيفة روحى بل وروحى وريحانى
له معجزات أخرست كل جاحد
وسلت على المرتاب صارم برهان
دعا سرحة عجما فلبت وأقبلت

بجدّ وإن غضب وليس يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شئ وكذلك كان فى أموره كلها ، وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوّة واستنزل الهدى فيقول: «اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من أن يشتبه علىّ فأتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم» (فداه) صلى الله عليه وسلم (فؤادى) أى قلبى (بل وروحى) بضم الراء (وإنسانى) أى جسمى (هو)صلى الله عليه وسلم (الشمس فى حسن) أى إشراق وإضاءة (هو البدر) أى القمر ليلة كماله (رونقا) أى حسنا وملاحة (محياه) أى وجهه صلى الله عليه وسلم (فاق النيرين) بتشديد الياء وهما الشمس والقمر (بحسبان) بضم الحاء أى باعتدال . قال أبو نواس :

تتيه الشمس والقمر المنير ... إذا قلنا كأنهما الأمير
لأن الشمس تغرب حين تمسى ... وإن البدر ينقصه المسير
(إلهى روّح روحه وضريحه ... بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(ألا) حرف استفتاح وتنبيه (خبرا) فعل أمر مبنى على فتح الراء المتصل بنون التوكيد الخفيفة (عنى أهيل مودتى) بفتح الميم وكسرها : أى محبتى ؛ وأهيل تصغير أهل (بأنى به) صلى الله عليه وسلم (فان) أى مشتاق وعاشق (إلى يوم أكفانى) أى إلى وقت موتى ومواراتى بالكفن (أرى) أى أعتقد (حبه) صلى الله عليه وسلم (دينى ورشدى) أى هدايتى (وملنى * وتعداد ماقد حاز) أى جمع (فى الحسن) أى الصفة الجميلة (أعيانى) أى أعجزنى وجملة الفعل والفاعل خبر المبتدا (أهيم) أى أحبه حبا شديدا (به) أى بالهيام بحبه صلى الله عليه وسلم(فى كل وقت وساعة * وأهلى) أى قرابتى وأتباعى (جميعا ثم صحبى وإخوانى) بكسر الهمزة وضمها : أى أصدقائى وصواحبى(هواه) أى حبه صلى الله عليه وسلم (أنيسى) أى مؤنسى وقت كونى مدفونا (فى الجنادل) أى تحت الحجارة التى يسقف بها القبر وهو جمع جندل: وهو مايرفعه الرجل من الحجارة (حبه) صلى الله عليه وسلم(لطيفة روحى)بضم الراء: وهو مابه حياة الأنفس ، واللطيفة: هى التى لاتقبل التجزؤ ، أى أنفس الأجزاء منها (بل وروحى) بفتح الراء: أى راحتى (وريحانى) أى رزقى الحسن . واعلم أن أفضل الأعمال وأسرعها إنتاجا وأعظمها وسيلة محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوى وأخروى فعليك أن تكون ممن امتلأ قلبه بحب النبى صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وقوله صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين » أفاده ابن حجر فى شرح الهمزية (له) صلى الله عليه وسلم (معجزات) جمع معجزة: وهى الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدالّ على صدقه صلى الله عليه وسلم، سميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله (أخرست كل جاحد) أى منكر مع علم (وسلت على المرتاب) أى الشاك (صارم برهان) هذا إما من إضافة الصفة للموصوف : أى برهانا صارما أى حجة قاطعة أو من إضافة المشبه به للمشبه فان الصارم اسم للسيف كما دل عليه قوله وسلت فان معناه أخرجت من الغمد ؛ والمعنى أخرجت المعجزة وأظهرت على الشاكّ حجة مشبهة بالسيف لأن الحجة تقطع الخصومة كما أن السيف يقطع الرقبة مثلا (دعا) صلى الله عليه وسلم (سرحة) أى شجرة عظيمة (عجما) أى لاتتكلم بالقصر للوزن تأنيث أعجم (فلبت) أى أجابت (وأقبلت) أى إلى رسول الله

(تجر

(تجر ذيول الزهر) أى العروق الخضر (مابين أفنان) أى أغصان وهو جمع فنن ككسب وأسباب ، وعن بريدة « سأل أعرابى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك ، فقال لها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله ، فقال الأعرابى مرها أن ترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستوت فقال الأعرابى ائذن لى أن أسجد إليك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فائذن لى أن أقبل يديك ورجليك فأذن له » وأخرج ابن إسحق « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نبئ لقيه ورقة بن نوفل ببعض طرق مكة وكان يدين بالنصرانية ، فقال يامحمد لم يبعث نبى قط إلا كانت له علامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسمرة تعالى فأقبلت تخد أرض الوادى خدا حتى وقفت بين يديه فقال أتشهدين أنى رسول الله؟ قالت أشهد أنك رسول الله، فقال ورقة والذى نفسى بيده لو أمرت بالقتال لأنصرنك نصرا مؤيدا » قوله تخد بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة أى تشق (أشار) صلى الله عليه وسلم (إلى البدر النير بكفه فخر) أى سقط البدر (له) صلى الله عليه وسلم (من أوجه) أى علوه (وهو نصفان) نصفه على جبل أبى قبيس ونصفه الآخر على جبل قعيقعان كذا فى تفسير المحلى ، فى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه «أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما ومن حديث ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا» (وقد أشبع الجم) أى الجماعة (الغفير) أى الكثير شريفهم ووضيعهم لم يتخلف أحد (جنابه) صلى الله عليه وسلم (بمد شعير صح ذا) أى هذا الحديث (بين أخدانى) أى صواحبى . وعن على بن أبى طالب قال « جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقى كأنه لم يشرب منه» كذا فى المواهب نقلا عن الشفاء . والفرق بفتحتين: إناء بالمدينة يسع تسعة عشر رطلا . والعس بضم العين : القدح الكبير (وأروى) صلى الله عليه وسلم (بماء من أنامل كفه لجلة صحب) جمع صاحب (حين جادت) أى كثر سيلان الأنامل (كسيحان) وهو نهر بالشام ونهر آخر بالبصرة .

وعن ابن مسعود قال : «بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه فى إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعن أنس قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم وكانوا ثمانين رجلا ، وفى رواية فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم . فقيل لأنس كم كنتم ؟ قال كنا ثلثمائة » وعن جابر قال «عطش الناس يوم بالحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه ، فقال مالكم ؟ فقالوا يارسول الله ماعندنا ماء نتوضأ به ولا نشربه إلا مابين يديك ، فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا ، قيل لجابر كم كنتم »

تجر ذيول الزهر مابين أفنان
أشار إلى البدر المنير بكفه
فخر له من أوجه وهو نصفان
وقد أشبع الجم الغفير جنابه
بمد شعير صح ذا بين أخدانى
وأروى بماء من أنامل كفه
لجلة صحب حين جادت كسيحان

قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة» (وهز) أى حرك (قضيبا) وهو من الغصن المقطوع (يوم أحد) بضم الهمزة وسكون الحاء للوزن: وهو جبل مشهور بقرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم من جهة الشام على أقل من فرسخ منها، ويقال له دو عينين وكانت عنده الواقعة المشهورة فى شوال سنة ثلاث من الهجرة بالاتفاق يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه، وقيل لسبع ليال خلون منه، وقيل فى نصفه (لحاجة فعاد) أى القضيب: أى صار سيفا (صقيلا) أى خالصا من الصداء (فى يد خير شجعان) وقال القسطلانى «انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم أحد فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد فى يده سيفا فقاتل به» وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركى من أمراء المعتصم بالله فى بغداد بمائتى دينار، وهذا نحو حديث عكاشة فى غزوة بدر وهو: قال ابن إسحق «وقاتل عكاشة بن محصن الأسدى يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا من حطب، فقال له قاتل به فهزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين» وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده وهو عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان (وناهيك بالذكر الحكيم) وهو القرآن وهذه كلمة تعجب واستعظام وهى كما يقال حسبك بذلك معجزة ومعناها أن القرآن غاية تنهاك عن طلب غيره من المعجزات (وما احتوى) أى الذكر الحكيم (عليه من الإعجاز) بحيث لا يقدر البشر على الإتيان بمثله (مع حسن إتقان) أى فى النظم والفصاحة (مصاقع) أى فصحاء وبلغاء (نجد) وهو المرتفع من الأرض (مع تهامة) وهى ما انخفض من الأرض (أحصروا) أى عجزوا (من) الإتيان بالمثل فى آى) جمع آية (وأفصح) أهل (عربان) بضم العين: وهى البلاد التى سكنها العرب وسموا عربا، لأنهم سكنوا فى البلاد التى تسمى بالعربان. قوله وأفصح معطوف على الواو فى أحصروا أو على مصاقع. قال القسطلانى فقد تحدى صلى الله عليه وسلم بما فى القرآن من الإعجاز ودعاهم إلى معارضته والإتيان بسورة من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الإتيان بشئ منه، وعن عكرمة فى قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش فى الفصاحة «أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم: اقرأ على فقرأ عليه «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى» إلى آخر الآية قال أعد فأعاد صلى الله عليه وسلم، فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر، ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منى ولا أعلم برجزه ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذى يقول شئ من هذا، والله إن لقوله الذى يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه معدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى». واعلم أن وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر، لكن قال بعضهم: قد اختلف العلماء فى إعجازه على ستة أوجه: أحدها أن وجه إعجاز القرآن هو الايجاز والبلاغة. والثانى هو الوصف الذى صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل فى شئ منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة فى نظمهم ونثرهم. والثالث هو أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة. والرابع هو ما فيه من الإخبار بما كان مما علموه وما لم يعلموه فإذا سألوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه. والخامس هو ما فيه من علم الغيب والإخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته. والسادس هو كونه جامعا

وهز قضيبا يوم أحد لحاجة
فعاد صقيلا فى يدى خير شجعان
وناهيك بالذكر الحكيم وما احتوى
عليه من الإعجاز مع حسن إتقان
مصاقع نجد مع تهامة أحصروا
من المثل فى آى وأفصح عربان

لعلوم كثيرة لم تتعاط العرب فيها الكلام ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب (له) صلى الله عليه وسلم (الشمس ردت) وذلك لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجيء ؟ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس ، وكذا روى حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم أيضا يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر ، وكذا روى عن أسماء بنت عميس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر علىّ ونام حتى غابت الشمس ولم يمكنه إيقاظه لاحتمال أنه يوحى إليه فلما استيقظ سأله وقال عليه الصلاة والسلام أصليت يا على ؟ قال لا فقال رسول الله : اللهم إن عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فردّ عليه الشمس ، قالت أسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض وقام علىّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهباء قرب خيبر » وهذا الحديث الأخير منكر ليس في شيء من الصحاح والحسان (والبعير شكا له) صلى الله عليه وسلم كما في حديث يعلى بن مرة الثقفي «بينا نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ مررنا ببعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه . فقال بل نهبه لك يارسول الله وإنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره فقال أما إذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه » والجران بكسر الجيم : مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره . وعن عبدالله بن جعفر «قال أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فدخل حائط رجل من الأنصار فاذا جمل ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنّ فذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفريه ، ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار ، فقال هذا لى يارسول الله فقال ألا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فانه شكا إلىّ أنك تجيعه وتدئبه » . قوله ذفريه تثنية ذفر بكسر الذال المعجمة : وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه (ومن صائد قد فك) صلى الله عليه وسلم (مأسور غزلان) أى قيدها وهو جمع غزال . وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء من الأرض إذا هاتف يهتف : يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق وأعرابى مجندل في شملة نائم في الشمس فقال ماحاجتك ؟ قالت صادني هذا الأعرابى ولى خشفان في ذلك الجبل فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين ؟ فقالت عذبنى الله عذاب العشار إن لم أعد فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الأعرابى وقال يارسول الله ألك حاجة ؟ قال تطلق هذه الظبية ، فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهى تضرب برجليها الأرض وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله» (وسبحت الحصباء) أى الحصى (في بطن كفه) صلى الله عليه وسلم. وعن أبى ذرّ قال : «كنت أتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعلم منه فخرج يوما حتى أتى مكان كذا وكذا ، قال فجئت فسلمت وجلست إليه فقال ماجاء بك يا أبا ذرّ ؟ فقلت الله ورسوله أعلم ، إذ جاء أبو بكر رضى الله عنه فسلم وجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماجاء بك يا أبا بكر ؟ فقال الله ورسوله أعلم إذ جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبى بكر ، فقال ماجاء بك ياعمر ؟ فقال الله ورسوله أعلم ، إذ جاء

له الشمس ردت والبعير شكا له

ومن صائد قد فك مأسور غزلان

وسبحت الحصباء في بطن كفه

عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر ، فقال ماجاء بك ياعثمان ؟ فقال الله ورسوله أعلم ، ثم تناول حصيات سبعا أو تسعا فسبحن فى يده صلى الله عليه وسلم حتى سمعت لهن دويا كدوى النحل ، ثم وضعهن فى يد أبى بكر فسبحن حتى سمعت لهن دويا كدوى النحل ثم وضعهن فى يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن دويا كدوى النحل ، ثم تناولهن النبى صلى الله عليه وسلم فوضعهن فى يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن دويا كدوى النحل، ثم وضعهن فى يدى فسبحن» كذا فى النطق المفهوم (ورد) صلى الله عليه وسلم (بها) أى بكمه (عينا جرت) أى سقطت (فوق أوجان) كما قال القسطلانى «وأصيب يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله إن لى امرأة أحبها وأخشى إن رأتنى على هذه الحالة تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها إلى موضعها وقال باسم الله : اللهم اكسها جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا ، وكانت لاترمد إذا رمدت الأخرى» (إلى غير ذا) المذكور (من معجزات) له صلى الله عليه وسلم (بقدرما) كان (بر وبحر من رمال) بيان لما كان فى بر (وحيتان) جمع حوت بيان لما كان فى بحر ، والمراد بذلك التكثير كما قال القسطلانى ولو بالغ الأولون والآخرون فى إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ماحباه الكريم من مواهبه ولكان المسلم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض غرها انتهى كما أشار صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله «مامن نبى من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات مامثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحيا يتلى وهو باق على الدوام» ذكره الباجورى . ثم قال وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فشريعته باقية إلى يوم الدين فناسب أن تكون معجزته كذلك (ولولاه) صلى الله عليه وسلم (ما كان الخليل) إبراهيم عليه السلام (وآدم) أبو البشر عليه السلام (وموسى) الذى كلمه الله تعالى (وعيسى) ابن مريم العذراء (بل وملك سليمان) بن داود عليهما السلام ، لأن نوره صلى الله عليه وسلم أصل كل مخلوق كما فى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى «أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له لما سأله عن أول شئ خلقه الله : ياجابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره : أى من نور هو ذاته تعالى : أى خلقه بذاته تعالى ، والمراد خلقه بلا مادة ولا واسطة فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله يتردد ويذهب فى خزائن الغيب ، ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولاشمس ولاقمر ولاجن ولاإنس» واختلفوا فى أول المخلوقات بعد النور المحمدى ، والصحيح أنه الماء ثم العرش ثم القلم كما قيل:

نور النبى محمد مقدم فالماء ثم العرش ثم القلم

كذا أفاده حسن المدابغى (أتوا) أى الرسل (قبله) صلى الله عليه وسلم (فى الشكل) أى فى صورة جسمه وشخصه (لكنه) صلى الله عليه وسلم (الذى * بمعناه) أى حقيقته ونوره والجار والمجرور متعلق بما بعده (وافى) أى أتى (قبلهم) أى الرسل عليهم السلام (وهو) صلى الله عليه وسلم (نورانى) نسبة إلى النور وليس المراد بالنور هنا ماقابل الظلمة ، بل المراد به حقيقة خلقها الله تعالى وسماها نورا ولا يعلم كنهها إلا الله تعالى ، وقيل إنها متشكلة على صورته عليه الصلاة والسلام فى الوجود الخارجى وإلا سلم الوقف عن ذلك كما أفاده الباجورى (لأمتهم) متعلق بما بعده (جاءوا) أى الرسل (ينوبون عنه) صلى الله عليه وسلم (فى * بلاغات رسالات) من الله تعالى فهو صلى الله عليه وسلم مرسل للأمم السابقة ، لكن بواسطة الرسل فهم نواب عنه صلى الله عليه وسلم ، وبهذا قال الشيخ السبكى ومن تبعه أخذا من قوله تعالى «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة

ورد بها عينا جرت فوق أوجان
إلى غير ذا من معجزات بقدر ما
بر وبحر من رمال وحيتان
ولولاه ما كان الخليل وآدم
وموسى وعيسى بل وملك سليمان
أتوا قبله فى الشكل لكنه الذى
بمعناه وافى قبلهم وهو نورانى
لأمتهم جاءوا ينوبون عنه فى
بلاغ رسالات وإخماد طغيان

ثم

ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » والذى عليه الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم مرسل لهذه الأمة دون الأمم السابقة، والحق الأول كما أفاده الباجورى (وإخماد) أى إماتة (طغيان) أى عصيان بالكفر (وذا) المذكور كله من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعض ما أعطى) نبينا (و) بعض ما (خص نبينا * و) ذا (ما) أى الذى هو (حصر) أى آخر (ماقد حاز) أى جمع (وسعى) بضم الواو : أى طاقتى وقوتى، ويجوز فتحها كما قرأ به ابن أبى عبلة، وكسرها كما قرأ به عكرمة فى قوله تعالى « لايكلف الله نفسا إلا وسعها » (وإمكانى) أى سهولتى وتيسيرى ولا يقدر أحد من المخلوقين على عدّ صفاته صلى الله عليه وسلم باستقصائها على الكمال ولا على تفصيلها بالاستكمال ولكن يعبر عنها بطريق الإجمال واختصار المقال ، وقد رؤى العارف السراج ابن الفارض السعدى رضى الله عنه فى النوم فقيل له لم لامدحت النبى صلى الله عليه وسلم أى بالتصريح ؟ فقال :

أرى كل مدح فى النبى مقصرا ... وإن بالغ المثنى عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذى هو أهله ... عليه فما مقدار مايمدح الورى

(ومن فدفد الإيضاح) والفدفد بفتح الفاءين وسكون الدال التى بينهما ، وهو الأرض المستوية ، أو المكان المرتفع، أو الصوت الشديد وإضافته للإيضاح من إضافة المشبه به للمشبه فشبه الإيضاح بالأرض المستوية فى عدم الصعوبة أو شبهه بالمكان المرتفع أو بالصوت الشديد فى البيان (أقصى) أى أبعد (نهاية) أى آخر (لقد أبلغ الإملاء) أى إلقاء الكلام (وارد ربانى) منسوب إلى الرب وهو الله تعالى : أى فيض إلهى . قوله الإملاء مفعول أول . وقوله وارد فاعل، وقوله أقصى مفعول ثان لأبلغ والواو فى قوله ومن فدفد داخلة فى قوله لقد ؛ ومعنى هذا البيت ولقد أوصل فيض إلهى الإملاء أقصى نهاية من الإيضاح : أى البيان (إلى ههنا كف) أى منع (اطراد اهتمامه) أى القيام بالمقال فالضمير عائد على المقال وإن كان متأخرا لفظا فهو متقدم حكما لأن رتبة الفاعل متقدمة على رتبة المفعول، والاطراد بتشديد الطاء معناه الجرى والتسابق فإضافته إلى الاهتمام من الاضافة التى للبيان أو من إضافة المشبه به للمشبه فشبه القيام بالأمر بالتسابق بالفرس فى التحفظ (جواد) أى فرس (مقال) هذا من إضافة المشبه به للمشبه فشبه المقال بالفرس الجيد فى السرعة (فى مهامه تبيان) أى وضوح . والمهامه جمع مهمه: وهى المفازة البعيدة فالهاء الأخيرة لام الكلمة، فاضافته لتبيان من إضافة المشبه به للمشبه فشبه التبيان بالمفازة البعيدة التى هى الموضع المهلك فى الاتساع والجار والمجرور متعلق باطراد الذى هو مفعول مقدم :

(إلهى روّح روحه وضريحه ... بعرف شذىّ من صلاة ورضوان)

(فيامانح الطلاب) بضم الطاء وتشديد اللام جمع طالب : أى يامعطى السائلين (كل عطية * إذا رفعوا) أى الطلاب (صفر اليدين) بكسر الصاد : أى خالى اليدين (بإذعان) أى خضوع (تنزهت) ياألله (فى ذات ووصف) أى صفة (عن السوى) أى الغير (بلا شبه) أى مشابه فى ذلك (تعطى) من تشاء (وتقضى) أى تحكم على من تشاء (بحرمان) أى بمنع من العطايا ، أنت (قديم) أى لاأول لوجودك (من الآزال) بعد الهمزة وهو جمع أزل مثل سبب وأسباب ومعناه استمرار الوجود فى أزمنة غير متناهية فى جانب الماضى كما أن الأبد استمرار الوجود فى أزمنة غير متناهية فى جانب المستقبل . اعلم أن الوجود أقسام ثلاثة لارابع لها : فإنه إما أزلى أبدى وهو الله سبحانه وتعالى أو لاأزلى ولا أبدىّ وهو دار الدنيا أو أبدى لاأزلى وهو الدار الآخرة وعكسه محال . فان ماثبت قدمه استحال عدمه كذا فى التعريفات، أنت (حق) أى ثابت الوجود فلاينكر وجودك (لك البقا)

وذا بعض ما أعطى وخص نبينا
وما حصر ماقد حاز وسعى وإمكان
ومن فدفد الإيضاح أقصى نهاية
لقد أبلغ الإملاء وارد ربانى
إلى ههنا كف اطراد اهتمامه
جواد مقال فى مهامه تبيان
(إلهى روّح روحه وضريحه
بعرف شذى من صلاة ورضوان)
فيامانح الطلاب كل عطية
إذا رفعوا صفر اليدين بإذعان
تنزهت فى ذات ووصف عن السوى
بلا شبه تعطى وتقضى بحرمان
قديم من الآزال حق لك البقا

بحذف الهمزة : أى الدوام (فليس على غير) بالتنوين (سوائك تكلانى) بضم التاء : أى اعتمادى ووثوقى (بقـدرتك العلياء) بفتح العين وبالمدّ كما فى المصباح وهى ما يكون لها كمال يعم تعلقها بجميع الممكنات (دام استنادنا) أى اعتمادنا (بفضلك) أى بإحسانك ابتداء بلا علة (يامفضال) أى كثير الفضـل وهو صيغة مبالغة (تهدى الحيران) إلى المصالح الدينية والدنيوية (بنورك) أى بذاتك الذى ظهر بوجوب الوجود (يا ألله) أى يامن تقدم وجوده وتعاظم ذاته وصفاته وعم جوده كما أفاده السيوطى (ندعوك) أى نبتهل إليك بالسؤال ونرغب فيما عنـدك من الخير (جهرة * وبالمصطفى منجى الأسير مع العانى) أى الخاضع الذليل (إليك توسلنا) أى تقربنا (به) صلى الله عليه وسلم (وهو) أى المصطفى (ذخرنا) فى الآخرة : أى المعدّ لنا لوقت الحاجة إليه (كذا بنجوم الآل) والمراد بالآل هنا العلماء الأتقياء الذين هم من أولاده صلى الله عليه وسلم بدليل سياق الكلام فشبه العلماء بالنجوم فى الهداية وهو من إضافة المشبه به للمشبه (إكليل تيجان) والإكليل بكسر الهمزة : التاج للعجم كالعمامة للعرب شبه عصابة تزين بالجوهر والتيجان جمع تاج والاضافة للبيان فشبه العلماء الأتقياء بالتيجان فى المكرمة . قال الله تعالى « إن أكرمكم عنـد الله أتقاكم » وقال صلى الله عليه وسلم « أكرموا العلماء فانهم عنـد الله كرماء » (هداة الورى) أى الخلق والهداة جمع هاد ولا يكون كذلك إلا العلماء (والصحب) والمراد به هنا الصحابى : وهو من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ببدنه فى الأرض ولو لحظة (طرا) بضم الطاء : أى جميعا (بأسرهم) أى بجميعهم (ولا سيما صهريه) صلى الله عليه وسلم والصهر بكسر الصاد أهل بيت المرأة والمراد هنا أبوها والصهران أبو بكر وعمر فأبو بكر أبو السيدة عائشة وعمر أبو السيدة حفصة (أيضا) أى كما توسلنا بهؤلاء المذكورين توسلنا بصهريه أيضا (وأختان) جمع ختن بفتحتين : وهو زوج البنت ، والمراد بالأختان هنا عثمان وعلىّ فالجمع للاثنين ، فعثمان زوج السيدتين رقية وأم كلثوم ، وعلىّ زوج السيدة فاطمة (وأحبار هذا الدين) أى علمائه أو صلحائه وهو دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ والأحبار جمع حبر بكسر الحاء كحمل وأحمال ويجوز فتحها وجمعه حبور مثـل فلس وفلوس كما فى المصباح : ومعناه العالم أو الصالح كما فى القاموس (من سار) أى ذهب (ذكرهم) أى شرفهم وذكرهم الحسن فى الناس (مسير القطا) وهو طير فيـه نقش أحمر وهو مشهور بأنه لايخطئ الطريق (والقطر) أى المطر (فى كل عمران) أى بنيان . واعلم أن فضل العلماء لايخفى على أحد من ذوى العقول ، وقد أشار إلى ذلك سيدنا على بن أبى طالب ، وقيل إمامنا الشافعى بقوله :

الناس من جهة التمثال أكفاء	أبوهم آدم والأم حـــواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة	وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهم فى أصلهم حسب	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	وللرجال على الأفعال أسماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله	والجاهلون لأهل العلم أعـداء
ففز بعـلم تعش حيا به أبدا	الناس موتى وأهل العلم أحياء

ذكر ذلك الشربينى فى تفسيره (ومن فى الزوايا) جمع زاوية : وهى ركن البيت ، أو مابنى كهيئة المسجد لذكر الله تعالى (بالخول) بالخاء المعجمة : أى التوارى والاستخفاء (لقد رضوا) واختاروا

فليس على غـير سوائك تـكلانى
بقـدرتك العلياء دام استنادنا
بفضلك يامفضال تهدى الحيران
بنورك ياألله ندعوك جهرة
وبالمصطفى منجى الأسير مع العانى
إليك توسلنا به وهو ذخرنا
كذا بنجوم الآل إكليل تيجان
هداة الورى والصحب طرّا بأسرهم
ولاسيما صهريه أيضا وأختان
وأحبار هـذا الدين من سار ذكرهم
مسير القطا والقطر فى كل عمران
ومن فى الزوايا بالخول لقد رضوا

وجمع الضمير باعتبار معنى من (ولم يكحلوا) بضم الحاء (بالنوم سهد أجفان) جمع جفن وسهد بضم السين وفتح الهاء المشددة اسم فاعل وهو جمع ساهد ويجوز حذف الألف بعد الهاء وإثباتها وهو أحسن فإضافته إلى أجفان من إضافة الصفة للموصوف : أى الأجفان السهد . ومعنى النظم الذين لم يناموا إلا قليلا (فيارب وفقنا لإخلاص نية) لك يا الله (بقول وفعل) فلا يصدر ذلك منا إلا منك وإليك (واختمن) لنا (بإيمان) فنفوز بعفوك وجنتك ونتمتع بالنظر إلى وجهك الكريم (وإنجاح مطلوب) أى قضاء مطلوبنا ونيله منك وهذا معطوف على قوله لإخلاص نية (وإبلاغ مقصد) بفتح الميم والصاد وهو مصدر ميمى بمعنى اسم المفعول (كذا) أى كما ذكر (و) نسألك أن (تقينا) بسكون الياء أى تجنبنا (كل شر) من سوء وفساد وظلم (وخذلان) بكسر الخاء : أى عدم حصول النصرة (وما قد ظننا فيك من حسن ظننا) بأنك تغفر ذنوبنا وترحما وتقضى حاجاتنا نسألك أن (تحقق) بسكون القاف أى أن تجعله ثابتا لازما لنا (و) نسألك أن (تكفينا) بسكون الياء : أى تحمينا (أذية الشيطان * ولا تجعلنا) بتشديد النون (كالذى قد هوى به) أى أسقطه من أعلى إلى أسفل (هواه) أى ميل نفسه (للشهوات) إلى دار (البوار) أى العذاب (بخسران) أى هلاك (و) نسألك أن (تدنى) بسكون الياء : أى تقرب (لنا من حسن الايقان) بنقل حركة الهمزة إلى اللام (ربنا) منادى حذف منه حرف النداء (جنى قطاف) بفتح القاف وكسرها : أى مقطوف بمعنى مقطوع (بل وتغفر للجانى) أى المذنب (وعمّ لهذا الجمع) وهم الجماعة الحاضرون فى مجلس قراءة المولد (منك) متعلق بما بعده (برحمة) أى خير واسع (ومغفرة) وعفو وإعراض عن ذنوبهم (تنجيه) بسكون النون والياء : أى ونسألك أن تخلص أى هذا الجمع (من هول نيران) جمع نار (وعن غيرك اللهم حقق) أى ثبت (غنى لنا) بكسر الغين المعجمة وبالقصر : أى عدم احتياجنا . فالحاصل أن الغنى بالقصر مع الكسر معناه اليسار وبالمدّ كذلك معناه الترنم بالصوت وبالفتح مع القصر الإقامة ومع المدّ النفع أو الكفاية وقد نظمت ذلك بقولى :

اعلم بأن للغنى أشتاتا خمس معان فافهمن يافتى
بالقصر مع كسر يسار وثروة وبالمدّ كالكتاب ذا التصويت
مع السرور فتحه مع قصر مثل العمى هى الإقامة فاذكر
بالمد كالكلام نفع واكتفا فهذه الخصال للغنى وفا

وقال بعضهم :

معنى الغنى بالكسر والقصر اليسار وان يمد فهو صوت ذو انتشار
بالفتح والقصر هو الاقامه والنفع ان مد أو الكفايه

(وأصلح ولاة الأمر) الموجودين (فى كل بلدان) جمع بلد والولاة جمع وال مثل قضاة وقاض ، والمعنى واجعل المدبرين على أمور الناس فى البلدان غير مفسدين وغير ظالمين (وأمن) بقصر الهمزة وتشديد الميم أو بمدّها وتخفيف الميم مكسورة فيهما (لنا الروعات) بفتح الراء جمع روعة بمعنى فزعة : أى سلمنا مما يفزعنا (واصلح) بالوصل مع الواو أو بالقطع مع حذفها (رعية) بكسر العين وتشديد الياء وهم الجماعة الذين يشملهم تدبير أمير مخصوص (وأيد) أى قو (ملوك الدين) أى سلاطين الإسلام (من آل عثمان) أى ذى قرابة عثمان الذى هو جدّ سلاطين القسطنطينية لا عثمان بن عفان الصحابى (ووفق لما ترضاه فى كل حالة) أى هيئة

ولم يكحلوا بالنوم سهد أجفان
فيارب وفقنا لإخلاص نية
بقول وفعل واختمن بإيمان
وإنجاح مطلوب وإبلاغ مقصد
كذا وتقينا كل شر وخذلان
وماقد ظننافيك من حسن ظننا
تحقق وتكفينا أذية شيطان
ولا تجعلنا كالذى قد هوى به
هواه إلى دار البوار بخسران
وتدنى لنا من حسن الايقان ربنا
جنى قطاف بل وتغفر للجانى
وعم لهذا الجمع منك برحمة
ومغفرة تنجيه من هول نيران
وعن غيرك اللهم حقق غنى لنا
وأصلح ولاة الأمر فى كل بلدان
وأمن لنا الروعات واصلح رعية
وأيد ملوك الدين من آل عثمان
ووفق لما ترضاه فى كل حالة

(ملوك بنى الزهراء) وهى سيدتنا فاطمة وسميت الزهراء لأنها لم تحض ، كما فى حديث رواه النسائى كما قال صلى الله عليه وسلم « ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث » رواه الخطابى وإنما سماها الله تعالى فاطمة ، لأن الله فطمها ومحبيها عن النار كذا أفاده ابن حجر، وملوك بنى الزهراء هم الأشراف الذين هم من ذرية سيدنا الحسن أو من ذرية سيدنا الحسين الذين يتولون على مكة المشرفة كما أشار الناظم إلى ذلك بقوله (فى أرض نعمان) بفتح النون : وهو اسم للوادى الذى فى مكة من التنعيم ولواد وراء عرفة ولواد بين مكة والطائف ويسمى بنعمان الأراك (وأعظم إلهى الأجر) أى الثواب والجزاء (فضلا) أى إحسانا منك (لكل من * لذا الخير) أى الولمية : أى للجتمعين بها لقصة المولد والجار والمجرور الأول متعلق بأعظم ، والمجرور الثانى متعلق بأجرى الذى هو صلة الموصول (أجرى) وعمل (من كهول) جمع كهل: وهو من جاوز الثلاثين أو من بلغ الأربعين (وشبان) بضم الشين جمع شاب وهو من لم يبلغ سن الكهولة (وأمن) بالوجهين المذكورين : أى من المخاوف والأهوال (وأخصب) أى كثير العيش والعشب (سوح طه) صلى الله عليه وسلم ، والمراد بذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو مكة والمدينة (تحننا) أى ترحما منك (وقاصى بلاد المسلمين) عن مكة والمدينة (مع الدانى) إليهما (ورخص) بشد الخاء كما فى أكثر النسخ لكن الصواب بالهمزة المفتوحة وسكون الراء كما يؤخذ من المصباح قال وتعدية رخص من باب قرب بالتضعيف غير معروف (لنا الأسعار) جمع سعر بكسر السين: وهو مايقوم عليه الثمن : أى اجعلها لنا رخيصا (جودا) بضم الجيم: أى تكرما (ومنة) بكسر الميم : أى نعمة منك (ومن) بضم الميم وتثليث النون : أى أنعم علينا (بغيث) أى مطر (صيب) أى كثير (وهتان) بفتح الهاء وشد التاء: وهو مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود، أو هو المطر الضعيف الدائم (وبالعفو) أى محو الذنوب (والغفران) أى ستر العيوب (فامنن) أى أنعم (تكرما) منك : وهو إفادة ماينبغى لا لغرض (لناظم عقد) أى لجامع قلادة : أى لجامع هذه القصة (عز) أى عظم ذلك العقد (عن قدر) أى قيمة (أثمان) جمع ثمن: وهو العوض. وفى الصحاح: الثمن ماقابل المبيع. والقيمة مافى المتاع (عبيدك) بصيغة التصغير تواضعا من الناظم رحمه الله تعالى (زين العابدين هو الذى * محمد الهادى) وهو علم لأبى الناظم ابن السيد زين ابن السيد جعفر (أبوه) أى زين العابدين (وسبطان) وهما الحسن والحسين. والسبط ولد البنت : أى إن الناظم من ذرية الحسن والحسين وهما ابنا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلى آل برزنج) أى أهله وذى قرابته (شهير انتماؤه) أى انتساب زين العابدين كائن إلى آل برزنج فالجار والمجرور خبر انتماؤه وشهير بحذف التنوين للوزن حال من الضمير فى الخبر : أى معروفا، ويحتمل أن يكون خبرا للمبتدأ (ونسبته) بكسر النون وضمها : أى نسبة آل برزنج للمصطفى صلى الله عليه وسلم (ذات برهان) أى صاحبة وضوح (وحقق لبحر الفضل) أى الكمال والشرف والعلو (جعفر) بحذف التنوين للوزن وهو منصرف كما ذكره فى شرح الملحة للحريرى ، لأنه ليس من أوزان الفعل التى تمنع الصرف ، لأن شرطها اختصاص صيغتها بالفعل أصالة بأن لاتوجد الصيغة فى الاسم إلا منقولة عنه كما قاله القليوبى ومنع صرف المستحق للصرف مختلف فى جوازه فى الضرورة فأكثر البصريين لايجيزون ذلك (فوزه) أى ظفره (بقربك) فى المعنى لافى الحس تعالى الله عنه علوا كبيرا (وارفعه) أى جعفرا (لأرفع كثبان) بضم الكاف جمع كثيب: وهو التل من الرمل وهذا هو المعنى الأصلى والمراد هنا الرتبة (وأسكنه) أى جعفرا (فيها) أى الجنة (فى جوار) بكسر الجيم وضمها : أى فى قرب (حبيبه) أى جعفر والمراد به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ملوك بنى الزهراء فى أرض نعمان
وأعظم إلهى الأجر فضلا لكل من
لذا الخير أجرى من كهول وشبان
وأمن وأخصب سوح طه تحننا
وقاصى بلاد المسلمين مع الدانى
ورخص لنا الأسعار جودا ومنة
ومن بغيث صيب وهتان
وبالعفو والغفران فامنن تكرما
لناظم عقد عز عن قدر أثمان
عبيدك زين العابدين هو الذى
محمد الهادى أبوه وسبطان
إلى آل برزنج شهير انتماؤه
ونسبته للمصطفى ذات برهان
وحقق لبحر الفضل جعفر فوزه
بقربك وارفعه لأرفع كثبان
وأسكنه فيها فى جوار حبيبه

(وأشهده)

(وأشهده) أى جعلنا (ذاتا منك) أى اجعله ناظرا لذاتك الكريم فى الجنة (ليس لها) أى لذاتك (ثان) أى شبيه ونديد (و) اجعل مثل ذلك (أسلافنا) جمع سلف مثل سبب وأسباب: وهو كل من تقدم علينا من آبائنا وقرابتنا (والوالدين) أى آباءنا وأمهاتنا (وآلنا) أى أتباعنا وأحبابنا (وأشياخنا) جمع شيخ والمراد به أبو التعليم وهو أشرف من أبى النسب كما قيل:

أقدم أستاذى على فضل والدى وإن نالنى من والدى العز والشرف
فذاك مربى الروح والروح جوهر وهذا مربى الجسم والجسم كالصدف

(مع) بسكون العين (حاضرين) لقصة المولد (وإخوان) بكسر الهمزة وضمها جمع أخ: أى فى النسب وفى الدين (وكاتبها) أى هذه القصة وكاتب شرح أو حاشية عليهما (استرعيبه) أى وصمة الظاهر والباطن (ثم عجزه) أى ضعفه عن فعل الخيرات (وقارئها) أى هذه القصة (والسامعين) لها (بآذان) جمع أذن بضمتين أو بسكون الثانى للتخفيف (وصل وسلم لى) أى اجعل صلاتك وسلامك لأجل طلبى إياهما منك (على خير قابل* تجلى كلى الحقيقة) وتجلى مفعول به: وهو انكشاف القلب من نور الغيب والكلى الحقيقى ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة كالانسان وإنما سمى كليا لأن كلية الشىء إنما هى بالنسبة إلى الجزئى فيكون ذلك الشىء منسوبا إلى الكل والمنسوب إلى الكل كلى كذا فى التعريفات (والشان) أى العرضى وهو الذى لايدخل فى حقيقة جزئياته بأن لا يكون جزءا بأن يكون خارجا كالضاحك بالنسبة إلى الإنسان وخير القابل لذلك هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (كذا الآل) أى الأتباع للنبى صلى الله عليه وسلم ولو عصاة (والأصحاب والرسل) بسكون السين (سما* أولو العزم) وهم خمسة نظمها بعضهم فى قوله:

محمد إبراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

(والأملاك من خير روحانى) بضم الراء وهو النسبة إلى الملك (صلاة) مفعول مطلق: أى وسلاما (مدى الأيام) بفتح الميم والدال أى غاية الأوقات (مافاه) أى تلفظ (منشد* بسيرة) بكسر السين: أى حالة (خير الخلق فى حسن إلحان) بكسر الهمزة: أى صوت وإفصاح (وما شنف) أى زين (الأسماع) مفعول مقدم (درى وصفه) أى خير الخلق صلى الله عليه وسلم ودرى بضم الدال وشد الراء والياء فاعل مؤخر وإضافته لوصفه من إضافة المشبه به للمشبه: أى وصفه الدرى أى المنسوب للدر وهو اللؤلؤة العظيمة الكبيرة (و) ما (قلد أجيادا) جمع جيد وهو العنق (قلائد مرجان) والقلائد جمع قلادة بكسر القاف وفاعل قلد ضمير يعود إلى درى وصفه وأجيادا مفعول أول وقلائد مفعول ثان لقلد لأنه متعد لمفعولين كما علم من الصباح (و) ما (حلت) أى زينت (صدورا) جمع صدر وهو الأعلى من مقدم (المحافل) جمع محفل بكسر الفاء، وهو موضع الاجتماع: أى المجالس (قدسمت) أى ارتفعت تلك الصدور وفاقت غيرها (عقود) جمع عقد بكسر العين: أى قلائد وهذا فاعل لحلت مضاف لما بعده (حلاه) أى صفات خير الخلق صلى الله عليه وسلم وهو بكسر الحاء على الأفصح وقد تضم جمع حلية بكسرها فقط بمعنى صفة فإضافة عقود لحلاه من إضافة المشبه به للمشبه: أى حلاه صلى الله عليه وسلم المشبهة بالعقود فى حسنها (الزين) أى المليحة التى تزينه صلى الله عليه وسلم وتكمله وهو صفة مشبهة (فى سمط) بكسر السين: أى خيط (إتقان) أى إحكام هذا من إضافة الشىء إلى صفته وهو ترشيح للمشبه به، ومعلوم أن صفاته صلى الله عليه وسلم

وأشهده ذاتا منك ليس لها ثان
وأسلافنا والوالدين وآلنا
وأشياخنا مع حاضرين وإخوان
وكاتبها استرعيبه ثم عجزه
وقارئها والسامعين بآذان
وصل وسلم لى على خير قابل
تجلى كلى الحقيقة والشان
كذا الآل والأصحاب والرسل سما
أولو العزم والأملاك من خير روحانى
صلاة مدى الأيام مافاه منشد
بسيرة خير الخلق فى حسن ألحان
وما شنف الأسماع درى وصفه
وقلد أجيادا قلائد مرجان
وحلت صدورا للمحافل قد سمت
عقود حلاه الزين فى سمط إتقان

وفى ماتتين قد أتى نظم
مولد
يزيدهما خمس رجونا
بغفران

الكمالية لاتنفك عنه (وفى ماتتين قد أتى نظم) أى قصة (مولد) شريف نبوى، والنظم ضد النثر وهو الكلام الموزون الذى قصد وزنه فارتبط بمعنى وقافية وأصله التأليف مأخوذ من نظم العقد وهو تأليف جواهره على وجه يستحسن (يزيدهما) أى الماتتين (خمس) من الأبيات (رجونا) من الله تعالى (بغفران) للذنوب الكبائر والصغائر فى الظاهر والباطن .

﴿ فائدة ﴾ قال عبد الرحمن بن أحمد فى علمى الرسم والخط زيدت الألف فى مائة فرقا بينه وبين منه لأن حروفهما متحدة والمصحف ليس فيه نقط : أى فى الأصل ولا شكل وإنما وجد ذلك فى زمن الخليل ، وقيل قصدا للفرق بينه وبين مية اسم امرأة . فان قيل إن مية ليست من القرآن فما فائدة الفرق . فالجواب عن ذلك أن تقول إنها وقعت فى كلام العرب فيظن الناظر أن مائة هذه مية التى تذكر عند العرب ، لأن القرآن نزل على لغة العرب فلخوف هذا اللبس جعلوا الألف فى مائة ، وأما ماتين فزيدت فيه الألف حملا على مفرده وعندى أنها زيدت فرقا بينه وبين ميتين تثنية ميت ضد الحى وإن لم يكن فى القرآن، لأن ذلك وقع فى كلام العرب انتهى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيرا ، واختم لنا منك بخير برحمتك يا أرحم الراحمين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

قال مؤلفه : كمل هذا الشرح آخر ظهر يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة
من عام أربع وثمانين ومائتين بعد الألف
على يد جامعه محمد نووى بن عمر
ابن عربى بن على
تاب الله عليهم
آمين

خاتمة الطبع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار الوجود بمولد سيد ولد عدنان ، وجعله خاتم أنبيائه برسالته إلى جميع الإنس والجان، وشرع له ولأمته ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى وفضل دينه على سائر الأديان . اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويتواصون على الصبر ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم من أهل الزيغ والخذلان .

وبعد : فقد تمّ بحمد الله وحسن توفيقه طبع كتاب :

ترغيب المشتاقين

لبيان منظومة السيد البرزنجي زين العابدين

لمحمد نووي الجاوي

مصححا بمعرفة لجنة التصحيح برياسة الشيخ : أحمد سعد علي

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://twitter.com/SourAlAzbakya

https://www.facebook.com/books4all.net